قصص القرآن

سيل العرم

قلم: أحمد بهجت

ريشة: مصطفى حسين

دار الشروق

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ-١٩٨٨م
الطبعة الثانية
١٤٠٩هـ-١٩٨٩م
الطبعة الثالثة
١٤١٤هـ-١٩٩٣م
الطبعة الرابعة
١٤٢٢هـ-٢٠٠١م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى -
رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكترونى: email: dar@shorouk.com

قصص القرآن

أصحاب الأخدود

قلم: أحمد بهجت

ريشة: مصطفى حسين

دار الشروق

الفـارسُ مثـل سهمٍ مـن البرقِ .

راحَ يلهبُ ظهرَ حِصانِه بالسَّوطِ لِيَستحثّه على الجَريِ ، وكان الحصانُ يَجري بأقصى طاقتِه ، وآنحدَر العرقُ على جسدِ الحِصانِ فَبَلَّله ، ورغم ذلك فقد ظلّ يَجري في طريقهِ بين الجِبالِ والسُّهولِ ، مُستجيباً لأمرِ صاحِبِه . .

كـان واضِحـاً أن الفـارسَ الـذي يَضربُ حِصانَه يَحمِلُ سِراً خَطيراً لا يَحتمِلُ التأجيلَ . .

بعد رِحلةٍ شاقَّةٍ وصلَ الفارسُ إلى أسوارِ المدينةِ . . وكانت الشمسُ تَنحدِرُ نحو الغُروبِ ، وآنتشَر اللونُ الورديُّ الأحمرُ في السحابِ وآنعكسَ على وجوهِ السّائرينَ في الطُّرُقاتِ .

ولم يُقلِّلِ الفارسُ من سُرعتهِ حين وصلَ إلى طُرقاتِ المدينةِ ، وأفزعَ الناسَ في السوقِ بسببِ آندِفاعِه ، وأوقعَ الحِصانُ في طريقهِ بعضَ أقفاصِ الفاكهةِ لبائعٍ في السُّوقِ ، وصَرخَ البائعُ حَزيناً على فاكِهتِه التي تَحطَّمتْ تحت أقدامِ الحِصانِ . .

ورغمَ ذلك فقد مَضى الفارسُ يَشُقُّ طريقَه بنفسِ سُرعتِه حتى وصلَ إلى قصرِ الملكِ .

آستوقَفَه الحرسُ على بابِ القصرِ فأخرجَ لهم خِطاباً من جيبِهِ وقال بِلهجةٍ آمِرَةٍ :

ـ معي خِطابٌ للمَلكِ . .

أذِنوا له في الدُّخولِ ، فدخلَ الحديقةَ وترجَّلَ عن حِصانِه وآندفعَ مُسرِعاً حتى وصلَ إلى قاعةِ الانتِظارِ في قَصرِ الملكِ .

قابَلَه مُديرُ القَصرِ وسأَلَه ماذا يُريدُ .

قـالَ الفـارسُ : أُريـدُ رُؤيَـةَ الملكِ على الفورِ .

قالَ مُديرُ القصرِ : لكنّكَ تَبدو مُرهَقاً من رِحلتِـكَ ، ولعَلَّكَ لم تـأْكُـل منـذ الصباحِ ، كما أن المَلكَ في آجتمـاعٍ هامٍ ولا أَستطيعُ إزعاجَه الآن ـ لماذا لا تَنتظِر ؟

قـال الفارسُ مُكشِّراً وقد بـدا عليـه الغضبُ : ليس مُهمّـاً أن أستريـحَ أو آكُـلَ ، إن الرِّسـالـةَ التي أحمِلُهـا لا تَستـطيـعُ الانتـظارَ . يجبُ أن أرى الملكَ على الفـورِ . . قُـلْ للمَلكِ إن رَسولاً من نجرانَ يحمـلُ أَخباراً هـامةً ويُريدُ أن يراكَ .

ذهب مُديرُ القصـرِ إلى الملكِ وعادَ بعد ثوانٍ قليلةٍ إلى الفـارسِ وهويقـولُ له : يَنتظِرُكَ الملكُ في قـاعةِ العـرشِ الآن . . تَفضّل معي . .

سارَ مديرُ القصرِ وسـار الفارسُ معـه حتى وصـلا إلى قاعـةِ العرشِ فتـأَخَّـر مديرُ القصرِ ودخلَ الفارسُ .

آنحنَى الفـارسُ للملِكِ وأَخـرجَ من جَيبِهِ رِسالةً قدَّمَها إليه وهـو صامتٌ . .

فتحَ الملكُ الـرِّسـالـةَ وقـرأَهـا فَتغيـرَ وَجهُـه . . ظهـرتْ عليـهِ عَـلامـاتُ الغضبِ ، مـزَّقَ الرسالةَ وأَلقـاها على الأرضِ . . نهضَ من كُـرسيِّ العرشِ وآتجـهَ نَحو الفـارسِ وقال لـه : هـذه أَخبـارٌ سيئـةٌ . . حـدِّثْني عنـهـا بالتَّفصيلِ .

قال الفارسُ : دخلَ الدينُ الجـديدُ

إلى نجرانَ .

قالَ الملكُ : كيفَ يَدخُلُ الدينُ الجديدُ بغيرِ إذنٍ مني ؟ هذا غزوٌ لِنَجرانَ . . أكملْ حَديثَكَ ، من هو صاحبُ هذا الدِّينِ الجديدِ ؟

قالَ الفارسُ : يقولونَ إن صاحبَه نبيٌّ يُسمُّونَه عيسَى المَسيح . .

سأله الملكُ . . ما الذي يَدعو إليه الدينُ الجديدُ ؟

قالَ الفارسُ : يَدعو إلى الإيمانِ باللهِ وتَوحيدِه .

قالَ الملكُ : من الذي دخلَ في الدينِ الجَديدِ ؟

أَجابَ الفارسُ : دخلَ الوَثنيُّونَ في الدينِ الجديدِ وآمنوا باللهِ ، ودخلَ فيه بعضُ اليهودِ وآمنوا باللهِ ، وهناكَ فِتنةٌ بين اليهودِ .

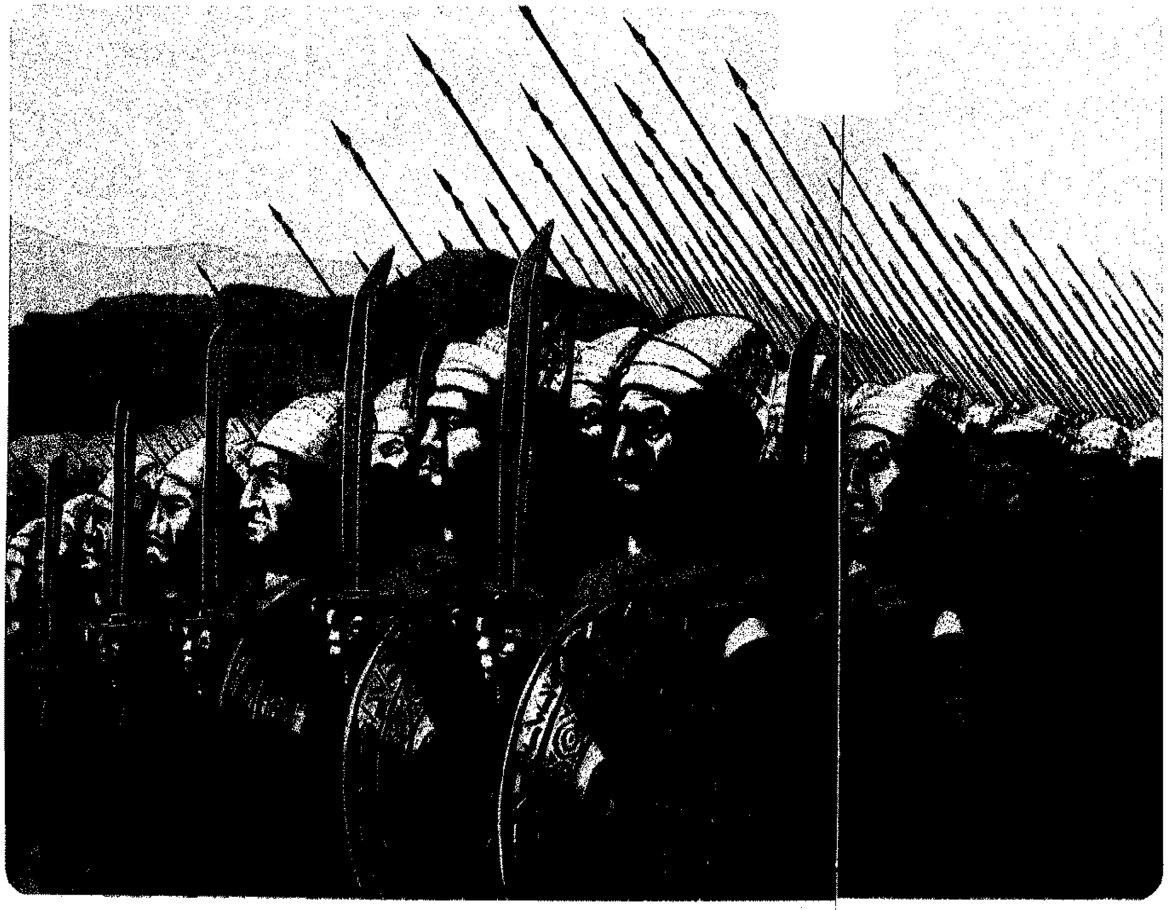

سألَ الملكُ أخيراً ، وهو يَحني رأْسَه ويُفكِّر : حدِّثني كيف دخلَ هذا الدينُ الجديدُ إلى نَجرانَ . . حدِّثني عن المسؤولِ عن تَسلُّلِه .

قال الفارسُ : تسلَّلَ هذا الدينُ عن طريقِ غُلامٍ مُؤمنٍ وجدَه سادتُه الوثنيُّون لا يُصلِّي للنَّخلةِ الَّتي يَعبُدونَها . .

سأَلوهُ : لمن تُصلِّي إذن ؟

قال الصبيُّ المُؤمنُ : أُصلي للهِ . . خالقِ النخلِ وخالقِ كُلِّ شيءٍ .

قالَ الوثنيونَ (الذينَ يَعبُدونَ غيرَ اللهِ) : لكنَّ هذه النخلةَ تَنفعُنا وتَمنعُ عنا السوءَ .

ضحكَ الصبيُّ ساخِراً وقالَ : لا تُصدِّقوا ذلك . . النخلةُ لا تَستطيعُ أن تنفعَ أو تضرَّ بل إنها لا تستطِيعُ دفعَ

السوءِ عن نَفسِها . . لو صلَّيتَ لله لكيْ تَحتـرقَ النخلةُ فآحتـرقتْ . . هـل تتَّبِعونَ دينَ المسيحِ وتُؤمنونَ بالله ؟

قالوا : نعم . .

وجـاءَ الليـلُ على الـصبيِّ وهـو يُصلِّي . . كـان يُصلِّي ويَـدعـو . . وتَجمَّعتْ في السمـاءِ سُحبٌ كثيفـةٌ وآشتدَّتْ حركةُ الرِّياحِ . وآكفهرَّ الجوُّ وتغيَّرَ . . وبَرقَ البَرقُ وآرتجَّتِ الأرضُ بصوتِ الرَّعدِ . . وهَوتْ صاعِقةٌ من السماءِ على النَّخلةِ فآحترقَتْ ، وشاهدَ الناسُ جَميعاً مَعبودَهُم وهو يَحتـرقُ ولا يَستـطيـعُ أن يـدفـعَ عن نفسِه النـارَ أو يُطفِىءَ الحريقَ .

ودَخلوا في الإيمانِ بالله . .

آستمَـع الملكُ صامِتـاً عـابِسـاً لِمَـا يَقـولُـه الفـارسُ . . آنتهَى من كـلامِـه فَصـرفَهُ . . لَم يكـدِ الفـارسُ يَنصـرِفُ حتى أمـرَ الملكُ أن يَجتمِـعَ مجلسُ الوُزراءِ وقادةُ الجيشِ . .

آجتمـعَ الجميـعُ وجَلسـوا صـامِتينَ وتحدَّثَ الملكُ .

قـال : أُريـدُ أن يستعِـدَّ الجيشُ لِلحـربِ . . سنُهاجِمُ نَجـرانَ . . لقـد آمنَ الناسُ فيها بدينٍ غيرِ ديننا . . آمنوا بـإلٰهٍ واحـدٍ بشَّر بـه نبيٌّ جـديـدٌ آسمُـه المسيـحُ . . يجب أن نُؤدِّبَ الـذيـن هَجروا دِينَنا . .

وسوفَ يكونُ تأديبُهم حاسِماً . .

آنفضَّ الاجتِمـاعُ وآنصـرفَ كـل واحـدٍ إلى عمـلِه . . ودخـلَ المـلكُ غُرفتَه وراحَ يشربُ الخمرَ . .

كان الملكُ يَهوديّاً قَسا قلبُه وخَلا من الإيمانِ والرحْـمةِ ، كان يَهـودِياً آبتعـدَ

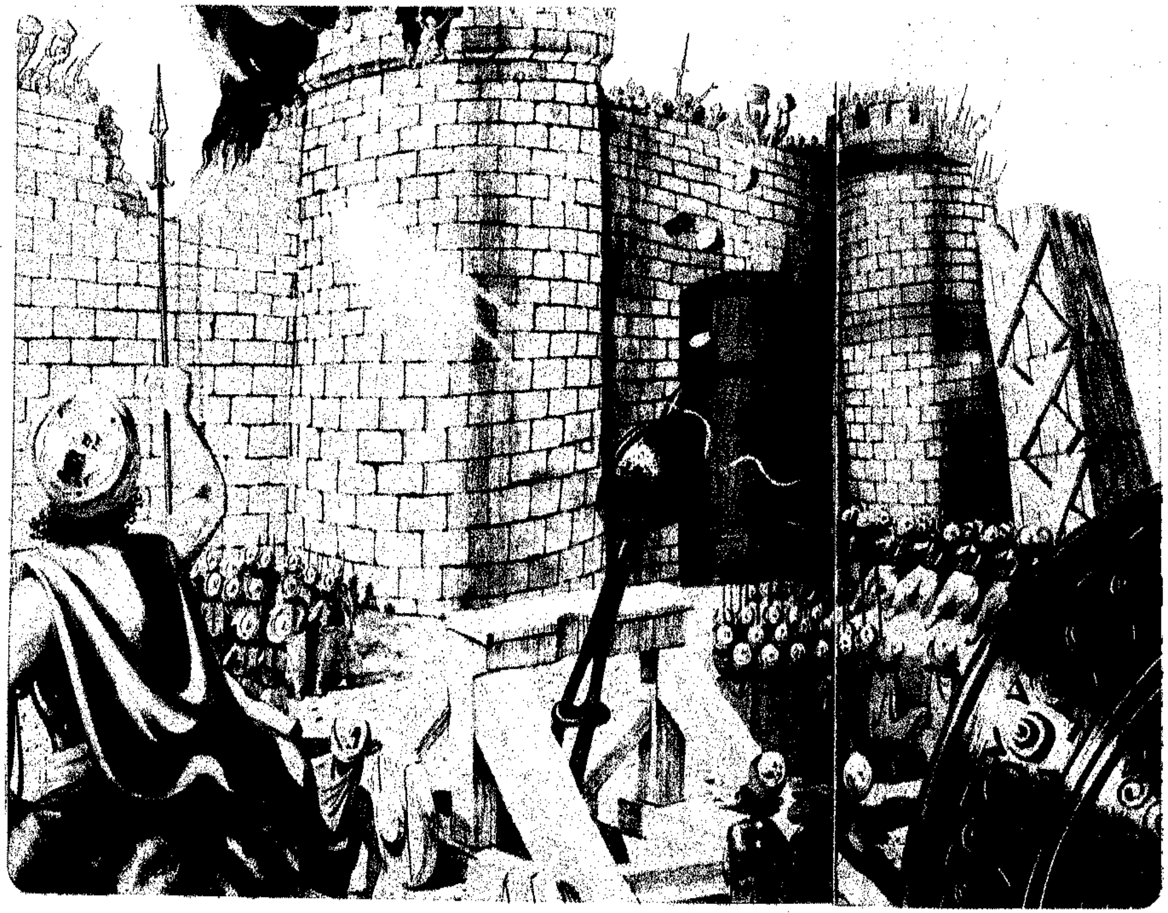

عن تعـاليمِ مـوسَى إلى شيءٍ يُشبِـه الوَثنيةَ . . ولو أنه كان يَهوديـاً يُؤمنُ بالله لَمـا كـرِهَ أن يكـونَ هنـاكَ مَسيحيُّـونَ يُؤمنونَ بالله . .

بعد أيامٍ تحرّكَ الجيشُ . .

كـانت خُـطّةُ الملكِ أن يُحـاصِـرَ المـدينـةَ حتى يَستسلِمَ أهلُهـا ، ثم يَضعُهُم أمامَ أمرٍ من آثنينِ .

إمـا أن يَعودوا إلى دِيـانتِه بكـلِّ مـا تَنـطوي عليـه من شَـوائبَ وَثنيةٍ . . أو يَقتلُهم بنارِ الحريقِ . .

كـان قـرارُه الـظالمُ يعني تَخييـرَ المُؤمنينَ بين الإيمانِ والموتِ حَـرقاً أو الكُفـرِ والنَّجاةِ . . وكـان معنًى تَخييرِه أنه يُخيِّرُ المُؤمنينَ بين الموتِ حَرقـاً في الدُّنيا ، والنَّجاةِ من حريقِ الآخـرةِ ، أو النَّجـاةِ في الـدُّنيـا والهـلاكِ في حـريقِ الآخرةِ . .

وكـان الملكُ يـظنُّ أنـه سَيُخيفُ المؤمنينَ بِتهديدِه وجَيشِهِ . .

وصلَ الملكُ إلى نجرانَ وحاصَرهـا بجيشـهِ الهـائـلِ ، وقـاتـلَ أَهلَهـا بشجـاعةٍ ، ولكنَّهم كـانوا عَـدداً قَليـلاً يفتقـرُ إلى الـمُعـداتِ والسِّـلاحِ ، وآنهـزمـوا ، فـدخـلَ الملكُ المـدينـةَ وأحضـرَ المُؤمنينَ وأَوقفَهُم أَمـامَـه وهم مُكبَّلونَ في السَّـلاسِلِ والقُيـودِ وقال :

عُودوا إلى دينِنا وإلا قَتلتُكُم جَميعـاً . . وتكلَّمَ الغُلامُ المؤمنُ . .

قال : نحن نَدعوكَ إلى الإيمانِ بالله أيها الملكُ .

قال الملكُ : سأَحـرِقُكُم بالنـارِ بعد صلبِكُم إذا لم تَعـودوا إلى دِيـانـتِكُم السابِقةِ . . أنتم مُتَّهـمونَ بالخِيانةِ العُـظمَى . . إن آختيـارَ دينٍ آخـرَ

غيـر ديننـا يـعني الخِيانةُ . . وهي خِيانةٌ سوفَ تدفعونَ ثمنها عَذاباً هائِلاً .

قال الغُلامُ المؤمنُ : لن نَخرجَ من الإيمانِ باللهِ مهما تعذِّبنا .

أمـر الملكُ جُنودَه بحفـرِ أُخدودٍ هـائـلٍ في الأرضِ . . تـمَّ حفـرُ الأُخدودِ . . فـأمـرَ الملكُ أن يَمـلأوا الأُخـدودَ بـالـحـطبِ الـجـافّ . . مَلأوهُ . . أمر الملكُ أن يُبلِّلوا الحطبَ بالزيتِ فَفعلوا . . أمر بعد ذلك بتقييدِ المُؤمنينَ وراحَ يَضـعُهم في الأُخـدودِ واحـداً بعـد الآخـر . . حتى آمتـلأ الأُخدودُ بالمؤمنينَ . .

قال الملكُ الوثنيُّ لِلمؤمنينَ :

أمـامَكُم فُـرصـةٌ أخيرةٌ لِلعـودةِ في ديننا . . إذا رَفضتُم أمرتُ بإشعالِ النارِ في الحطبِ . . ماذا تَقولون ؟

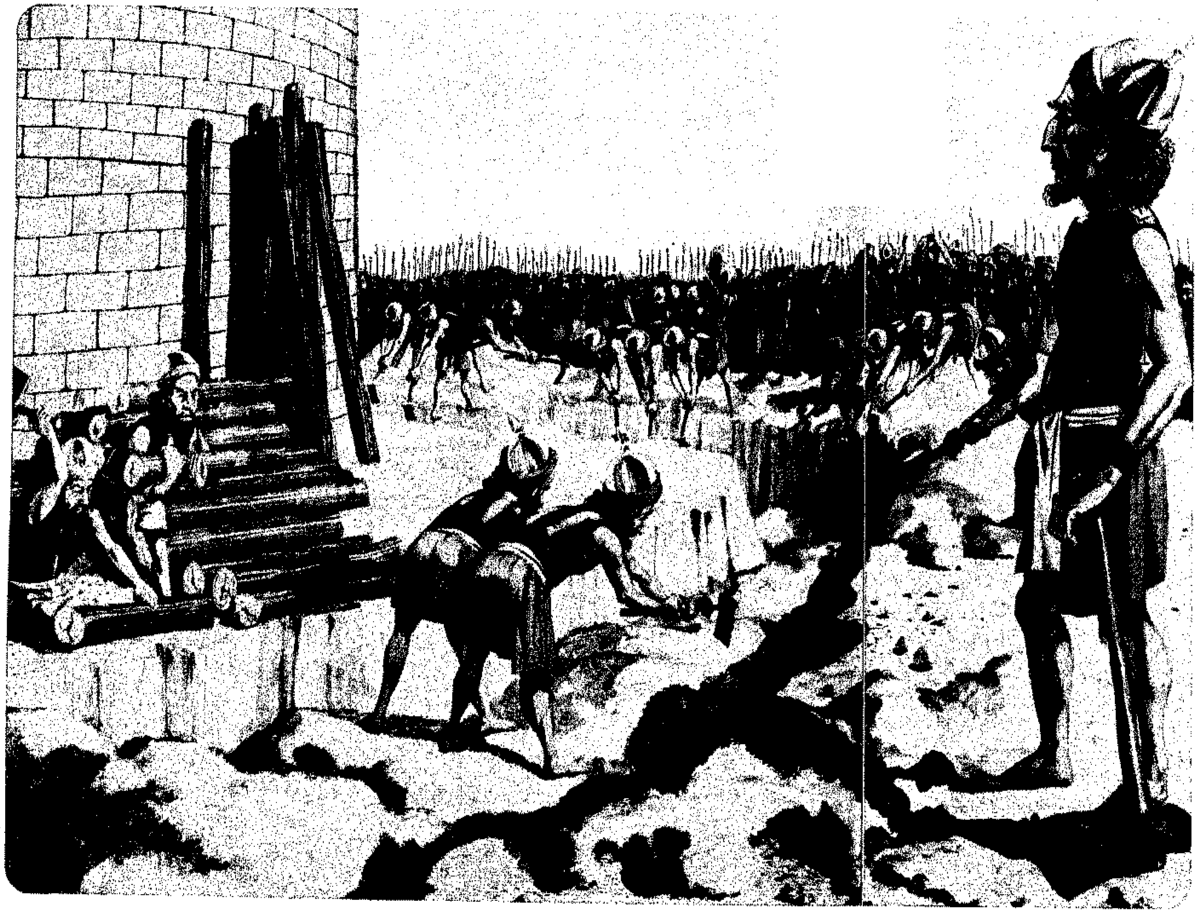

لم يقُلِ المُؤمنونَ شَيئاً . . كان حفـرُ الأُخدودِ بمشابَـةِ طَعنـةِ خـوفٍ نـافـذةٍ مُوجَّهةٍ نحو القلبِ . .

وطِـوالَ الفترةِ التي آستغـرقَها حفـرُ الأُخدودِ كانت الشَّـائعـاتُ تَتـطايـرُ ، وكان مُجرَّدُ آشتغالِ الجُنودِ في الحفـرِ عَمـلاً مُـرهِبـاً بحَقّ . كـانت النـاسُ لا تسألُ أبداً .

ـــ لماذا يَحفِرُ الجنودُ هذا الأُخـدودَ العظيمَ ؟

كان السؤالُ مُمتنِعاً وكـانت الإجابـةُ مَعروفةً . .

هنا سوف يُحرَقُ المُؤمنونَ أحياءً .

ما هو ذَنبُهم لِيُحرَقوا أحيـاءً ؟ ما هي الجَريمةُ التي آرتكَبـوها لِيقَـع لهم هذا العِقابُ الأليم ؟

إنهم يُؤمنونَ باللهِ . . هـذا هـو كـلُّ ذَنبِهم . . وهذه هي كلُّ جَريمتِهم . .

كان هذا كلُّه مَعروفاً . . وكـان حَفرُ الأُخـدودِ هـو الـرمـزَ النِّهـائيَّ لِلظلمِ والطُّغيانِ . .

كانت كلُّ فـأسٍ تَرتفـعُ لِتهوي على الأرضِ تَـرفـعُ معهـا هــذه الفِكـرةَ الظَّالمةَ .

فـكـرةُ طُـغـيـانِ الـطُّغـاةِ عـلى المُؤمنينَ . .

سكتَ المُؤمِنونَ ولم يَقولوا شَيئاً . .

رنَّ في أذهـانِهم تَهـديـدُ الـملكِ الوثنيِّ الظَّالمِ ، كانَ يُهدِّدُهم بالحَريقِ إذا لم يَعـودوا في مِلَّتِه الكـافِرة . . وآختـارَ المُؤمنونَ الحـريقَ . . آختاروا الشَّهادةَ في سبيلِ اللهِ . .

وفهِم الملكُ آختيارَهُم فأمَرَ بإشعالِ النارِ في الأُخدودِ . .

أصـبـحَ الـمُـؤمـنـونَ الآن وسطَ الأُخـدودِ ، وقـد قُيِّـدوا في الحبـالِ وَسلاسل الحديدِ . .

وآشتعـلت النـارُ وسطَ الأُخـدودِ وراحتْ تَتنقَّـلُ إلى أطـرافِـه حتى آشتعلتْ فيه كلِّه . .

وَوقفتِ القُوةُ الكافـرةُ تَشهدُ عـذابَ المُؤمنينَ . . حين بـدأَت النارُ تَشتعـلُ في المؤمنينَ وقـعت أُمـورٌ كـثيـرةٌ ، تصـايحَ الكـافِرونَ وهلَّلوا ، وسـادَ المُؤمنينَ سـلامٌ قلبيٌّ عجيبٌ . . أكلتِ النـارُ مَلابِسَهُم وأكلتْ جُلودَهُم ومضتْ تحـرِقُ أجسادَهُم ، ولكنّهم آحتمَلوا العَذابَ في صمتٍ ورضا . . وتَحـوَّلَ كـلُّ مؤمنٍ من المُـؤمنينَ إلى شُعـلةٍ مُحترقةٍ تُضيءُ وسطَ ظلامِ الحياةِ . .

To: www.al-mostafa.com

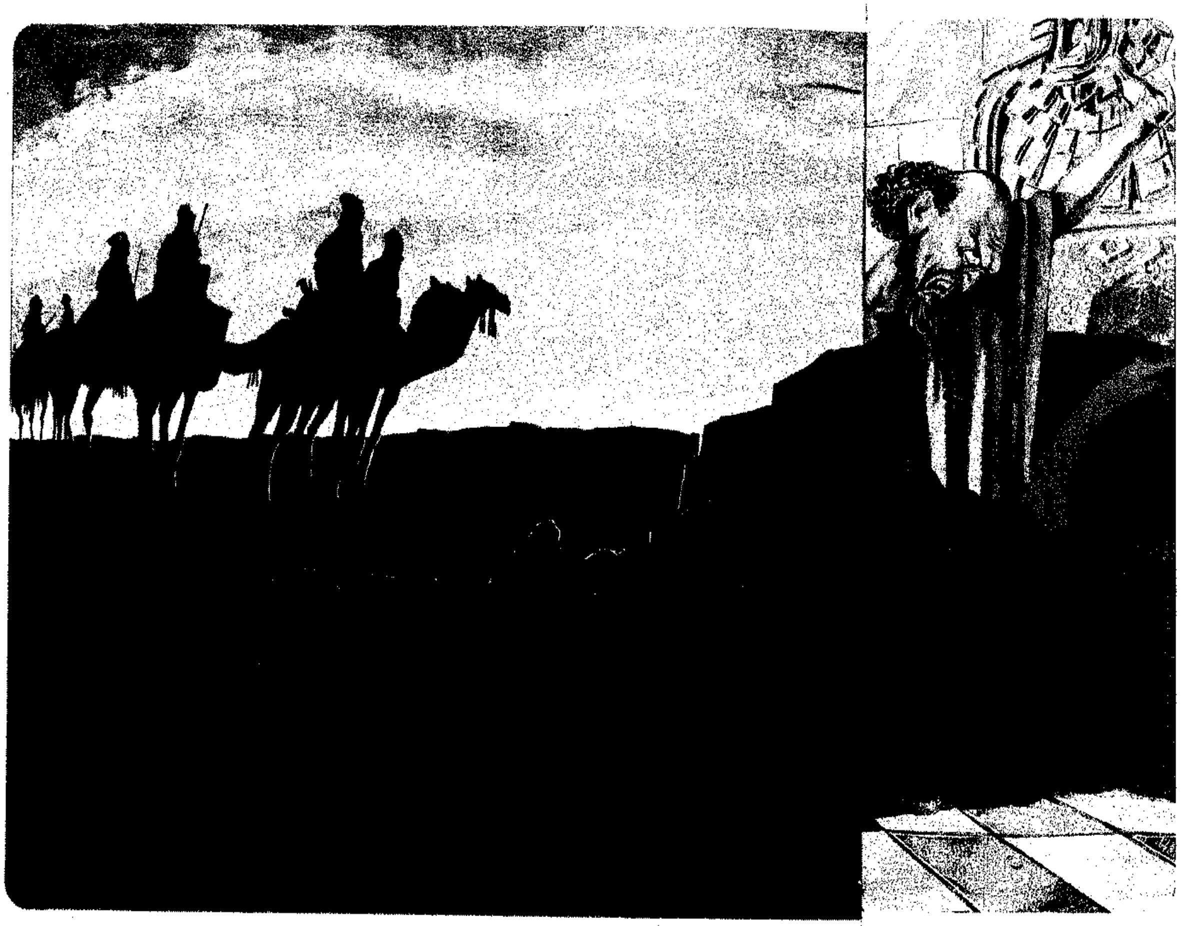

آنصرفَ الملكُ من أمام الأُخدودِ بعد أن تأكَّد أن المُؤمنينَ قد احترقُوا . .

كان صَدرُه يَغلي بالحِقدِ عليهم . . ولم يكنْ يَنقُم منهم إلا إيمانهم بالله العزيزِ الحميدِ . . كان الملكُ سَعيداً لأنه دمَّرهُم ، وآعتبرَ أنه آنتصرَ لِكبريائِه وآلِهتِه وأرضاها . .

ومرت أيامٌ قليلةٌ ، وسقطَ الملكُ مَريضاً لغير سببٍ واضحٍ . . زارهُ الأطباءُ من جميعِ أنحاءِ المملكةِ لِعلاجِه ، وفَشلوا في عِلاجِه ، وآستدعَى أطباءُ المَمالِك المُجاورةِ ، فلم يَعرِفوا سرَّ مرضِه ، وفَشلُوا في عِلاجِه ، وقُدِّمتِ القرابينُ للآلِهةِ الوثنيةِ ، وراحَ الكهنةُ يَسألونَ هذه الأوثانَ شِفاءَ الملكِ ، كان الملكُ يَتعذَّبُ عَذاباً هائِلاً . . لم يكن يَستطيعُ أن ينامَ من فرطِ الآلامِ التي يَحسُّها في جسدِه كلِّه . .

كان يَصرخُ في قصرِه فَيفزعُ الأطفالُ النائمونَ في مَدينتهِ من هولِ صَرختهِ . . كان يرى مَشهداً واحداً أمامَ عينيهِ : آبتسامات المؤمنينَ وهم يَحترقونَ في الأُخدودِ . .

وكانتْ هذه الابتسامات تملأ جَسدَهُ كلَّهُ بوجعِ الحريقِ وآلامِه ، ومضتْ حالةُ الملكِ تَسوءُ ، وكان الوجعُ يَدفعُه المدينةِ يقولُ :

ــ هنا . . في هذه الصَّحراءِ . . عاشتْ مدينةُ مأرب . . كان لأهلِها جنَّتانِ عن اليمين وعن الشِّمالِ . .

ثم يبدأُ في روايةِ ما حدثَ . .

وهكذا تحوَّل القومُ إلى أحاديثَ تَرويها القَوافلُ ، ولم يعُد باقياً منهم غيرَ سيرتِهم .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ
رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن
سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ
۝ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا
فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ۝ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ
أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ
فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

صدق الله العظيم

To: www.al-mostafa.com

قصص القرآن

الملك طالوت والنهر

قلم : أحمد بهجت

ريشة : مصطفى حسين

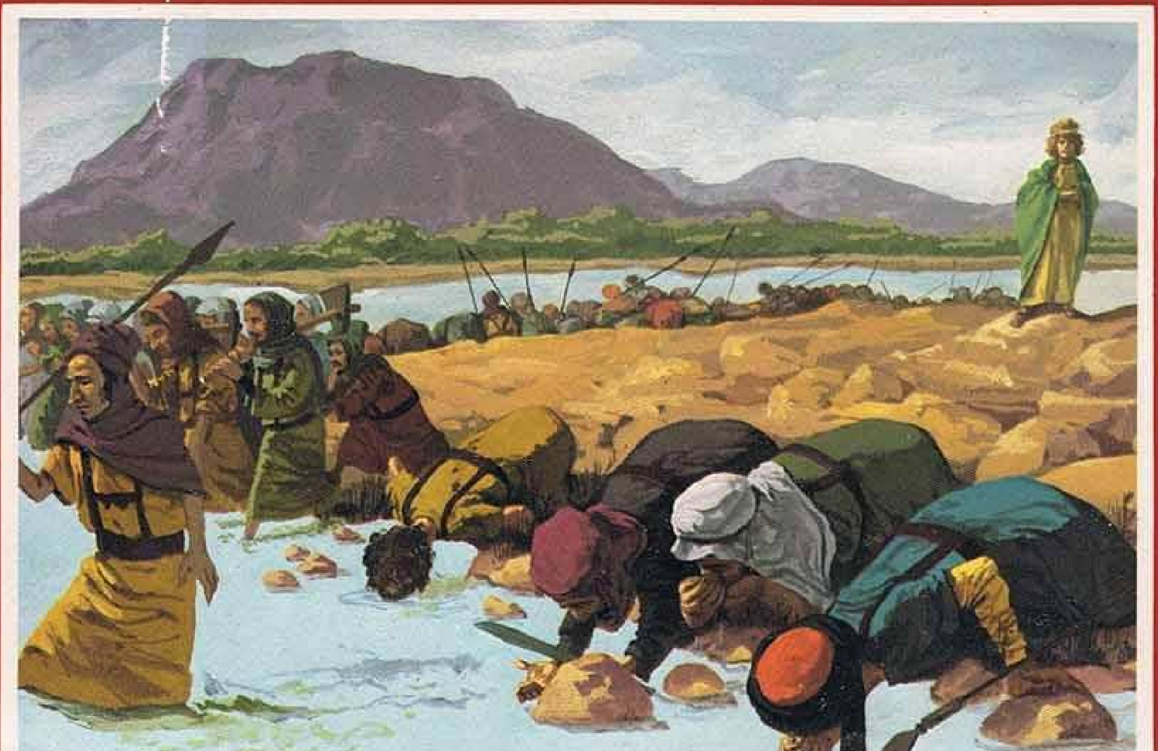

دار الشروق

الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

الطبعة الثانية
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

الطبعة الثالثة
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٢٩٣٣٣ فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ برقيا : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE

قصص القرآن

الملك طالوت والنهر

قلم: أحمد بهجت
ريشة: مصطفى حسين

دار الشروق

حين تباعدَ اليهودُ عن تَعاليم التَّوراةِ التي نَزلتْ على موسىٰ عليه السلام ، حين هَجروا كثيراً من تَعاليمِه وأوامِرِه ، عندئذٍ وقعَ لهم ما يقعُ لكلِّ أُمةٍ تهجرُ كِتابَها أو تُضيعُ أَوامرَ نَبيِّها المُرسلِ . .

تَدهورتْ أحوالُ بني إسرائيلَ عندئذٍ . . وهُزِموا من أعدائِهم . . وآستولى الأعداءُ على تابوتِ العهدِ ، وفيه بقيةٌ مما تركَ آلِ موسىٰ وَهارونَ ، وتَشرَّدوا في الأرضِ ، وطُرِدوا من دِيارِهم ، وساءَتْ أَحوالُهُم ، وشاعَ الذُّلُّ بينهم ، وحكَمَهُم الضّعفُ ، ثم شاءَ الله تباركَ وتعالىٰ أن يَرحمَهُم فأَرسلَ إليهم نَبيّاً . . وبدأَ هذا النبيُّ يَدعو قَومهُ إلى الله . .

وذات يومٍ ذهبَ كبارُ القومِ من بني إسرائيلَ إلى هذا النبيِّ وقالوا له : أليس الله هو الذي بعثكَ إلينا ؟

قال : نعم .

قالوا له : ألسنا مُشرَّدينَ ؟

قال : نعم .

قالوا : ألسنا مَظلومينَ ؟

قال : نعم .

قالوا : لماذا لا تَسألُ أن يبعثَ لنا مَلكاً يَجمعُنا تحت رايتهِ كي نُقاتلَ في سَبيلِ الله ونَستعيدَ حقّنا ونُصلحَ ما

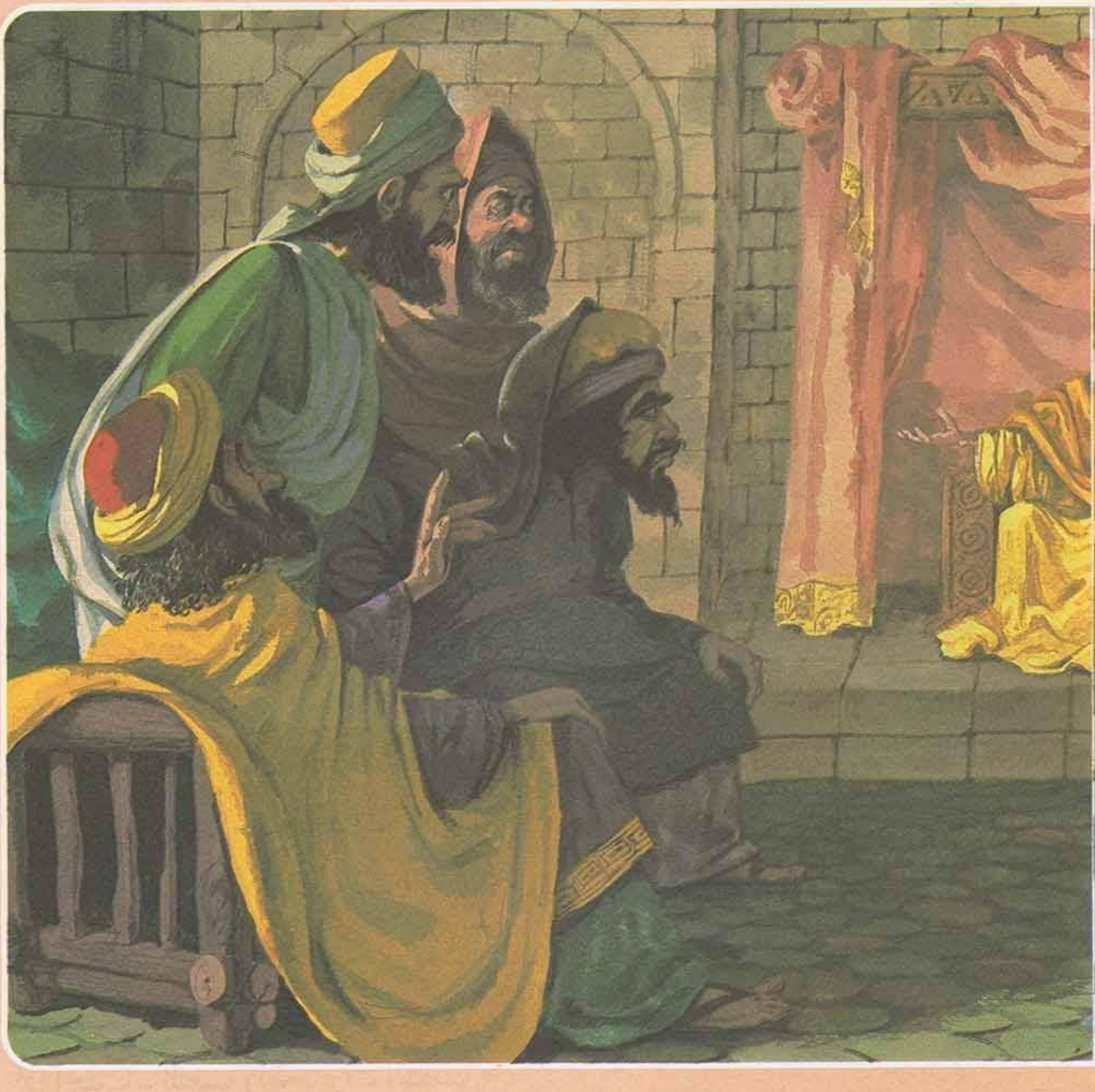

فَسدَ من أَحوالِنا ؟

قـال نَبِيُّهم :أَخافُ إن دعوتُ الله أن يَبعثَ لكُم ملِكاً يَدعوكُم إلى القتالِ ألا تُقاتِلوا .

قال كِبارُ القومِ :ولماذا لا نُقـاتِلُ في سَبيلِ الله وقد أُخرِجْنا من دِيارِنا وأَبنائِنا ؟

قال نَبيُّهم : لن تَتراجَعوا لو حـدثَ ما تَطلُبونَه ؟

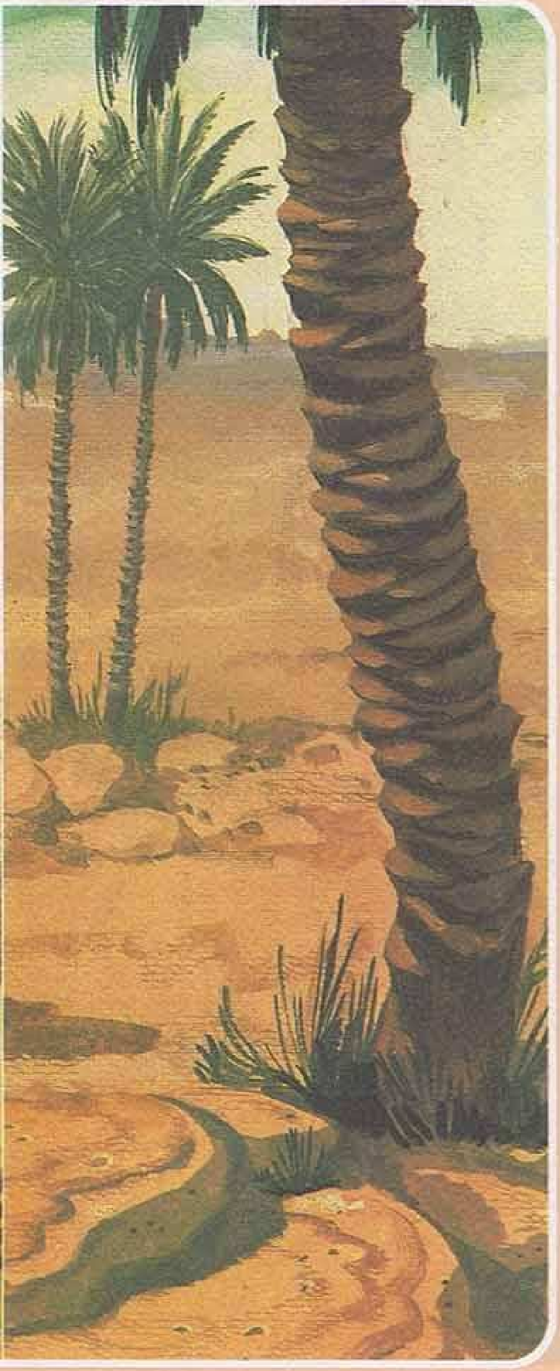

قالوا : أبداً لن نتراجعَ . .

قال نبيُّهُم : سوف أسأَلُ الله تعالىٰ أن يختارَ لكم مَلِكاً تُقاتِلونَ تحت رايَتِه .

آنصرفَ القومُ ودَعا النبيُّ ربَّ العالمينَ أن يختارَ لهم مَلِكاً . .

في نفسِ الوقتِ . . خرجَ طالوتُ يَرعىٰ غَنَمه . . كان طالوتُ واحِداً من بني إسرائيلَ ، وكان قلبُه يَنطوي على الخيرِ ، وكان معه أَحدُ فِتيانِه ، فآنشغلَ في حَديثٍ هامسٍ معَ الفتى ، فَشَردتْ غنمُه في السُّهولِ .

ثم آنتهىٰ حَديثُه مع الغُلامِ ، فنظرَ حولَه فلم يرَ الغنمَ ولاَ رأى الحميرَ . . قال لِغُلامِه : لقد آستغرقْنا الحديثُ فسارتِ الأغنامُ في الصحراءِ . . تعالَ نبحثُ عنها . .

آنطلقَ طالوتُ في الصحراءِ بحثاً عن قَطيعِهِ ، فسارَ مَسافةً طويلةً ، حتى إذا أَجهَدهُ التعبُ وآنحدرتِ الشمسُ نحو المَغيبِ ولم يجدْ غنمَه ويَئِسَ من العُثورِ عليها ، قرر أَن يذهبَ إلى النبيِّ ليسأَلَه أَين ضاعتْ . .

عادَ طالوتُ من الصحراءِ وشقَّ طريقَهُ إلى بيتِ نبِيِّهم ودخلَ عليه . .

قال طالوتُ : أَيها النبيُّ الكريمُ . . خرجتُ أرعىٰ الأغنامَ والحميرَ ، فَشردتْ مني في الصحراءِ ، ولم أعرفْ أَين ذهبتْ ، وقد جئتُ أَسأَلُك عنها . .

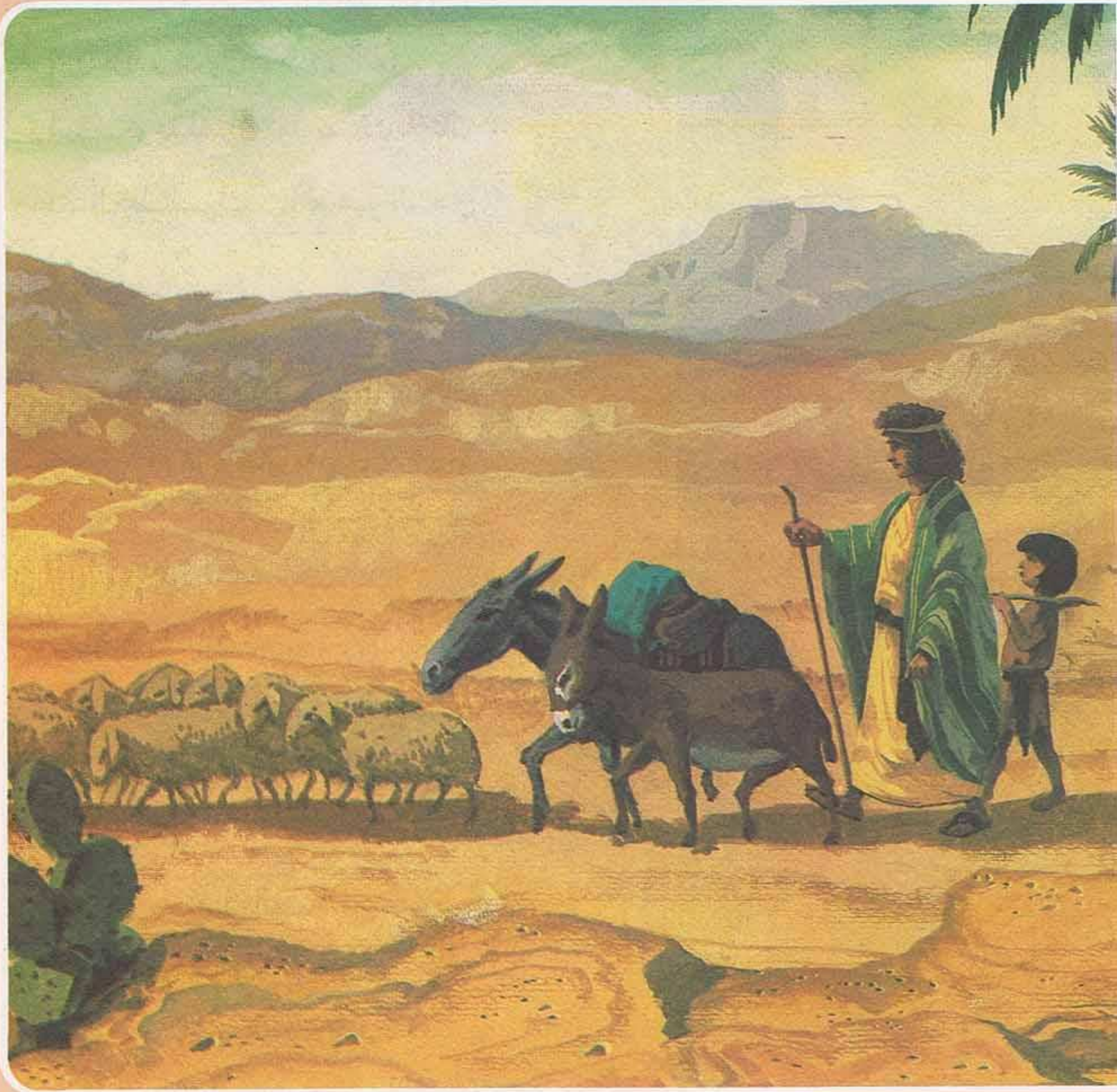

سألَه النبيُّ : هل تَحسُّ بالقلقِ على أَغنامِكَ وحَميرِكَ ؟

قال طالوتُ : نعم . .

قال النبيُّ : لا تُشغلْ بالَك بها ، فقد عادتْ إلى بيت أَبيكَ . . دعكَ من مَوضوعِ الأغنامِ واَستمعْ إليَّ . . لقد سأَلني المَلأُ من بني إسرائيلَ أَن أَدعو الله أن يختارَ لهم ملكاً يُقاتِلونَ

تحت رايتِـه في سبيـل الله ، وقـد دعـوتُ الله فـآختـاركَ ملِكـاً على بني إسرائيلَ .. وعليكَ أن تُعِدَّ نَفسكَ للقِتال.

سـألَ طـالـوتُ : الله هـو الـذي آختارَني ؟

قال : نعم . .

قـالَ طالـوتُ وهـو يَحسُّ بـالسّعـادةِ والرّهبةِ : أَنا رهنُ إشارتِكَ . .

قال النبيُّ : غداً نُقـابلُ رؤَسـاءَ بني إسرائيلَ .

جـاءَ الغـدُ ، فـآجتمَـع رُؤسـاءُ بني إسـرائيلَ وآجتمَـع معهم طـالـوتُ . .

وقـال لهُم نبيُّهُم : إن الله قـد بعثَ لكُم طالوتَ مَلكاً . .

وَبـرزتْ عوامـلُ العِنـادِ في نُفـوسِ بني إسـرائيلَ فقـالوا : كيفَ يكـونُ لـه المُلكُ ونحن أَحقُّ بالمُلكِ منه ؟

سـأَلَهم نبيُّهُم : لمـاذا تَتصـوَّرونَ أنكُم أَحقُّ بالمُلكِ منه ؟

قـال الرؤَسـاءُ : نحن أَغنىٰ كثيراً منه . . أنظرْ إليه . . إنه يَرتدي ملابسَ الرُّعاة الفقيرةِ . .

قال النبي : ليستِ العِبرةُ في حُكمِ

الشُّعـوبِ بـالغِنى أو الفَقـر ، العِبـرةُ بـالقُـدرة على قِيـادةِ الشُّعـوب ، إن طالوتَ هو آختيارُ الله تعالىٰ لَكُم ، وقد آختارَه الله تعالىٰ لِعِلمِه وقُدرَتِه .

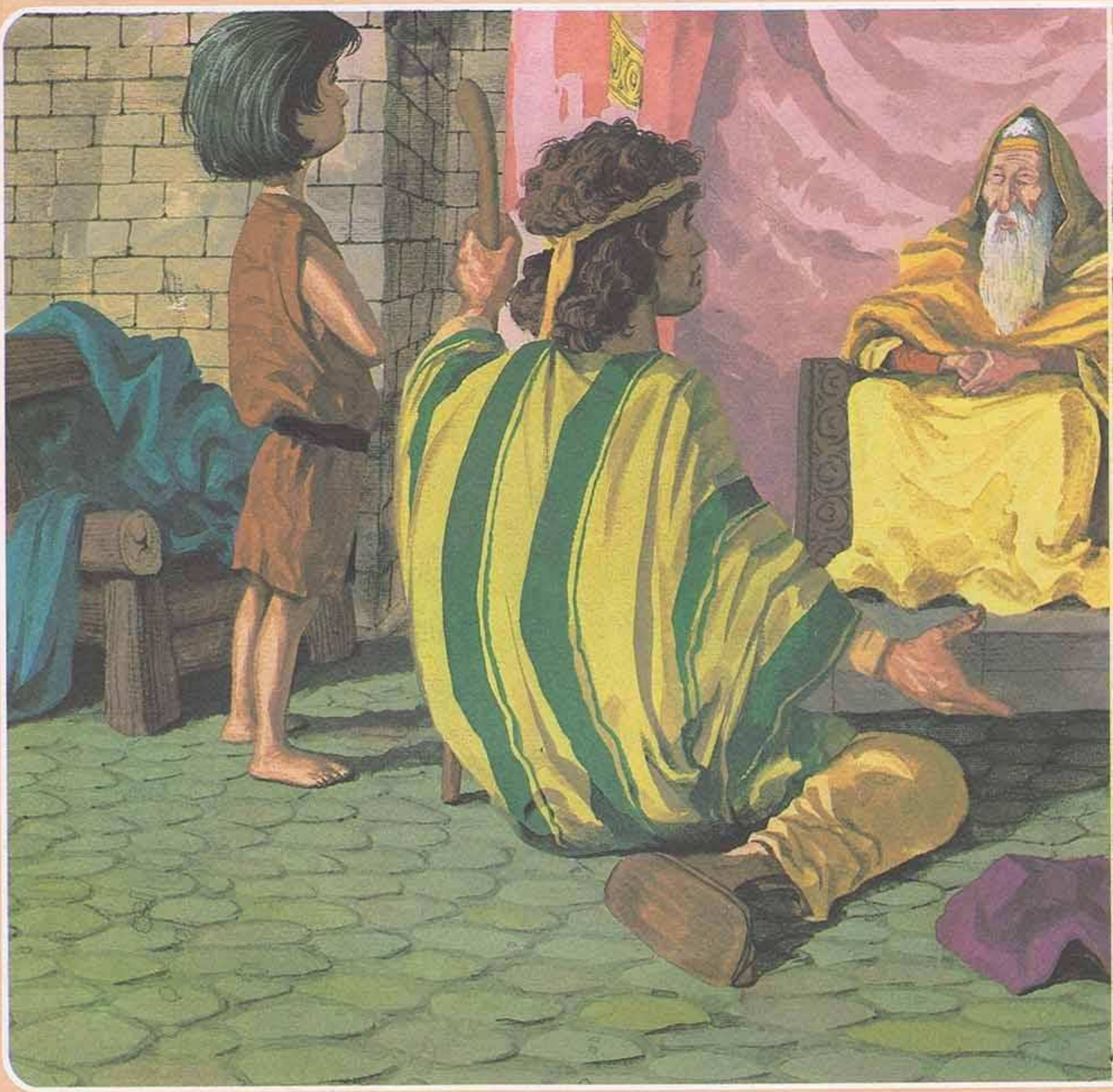

عادَ رؤَساءُ بني إسرائيلَ يَقولونَ :
نحن نُصدِّقُك أَيها النبيُّ ، ولكن كيفَ
نَنسى أننا نحن شُرفاءُ هذه الأمَّة
وسادتُها ؟ فكيف تَجاهَلنا اللهُ وآختارَه
هو ؟
قالَ النبيُّ : ليس لِمِثلي أَن
يسألَ اللهَ لماذا ؟ إن الأنبياءَ لا يَسألونَ
وإنما يَستمِعون ويُطيعونَ .. وهذا هو

آختيارُ الله له . .

قال سادةُ بني إسـرائيلَ : أنتَ تسـدُّ عَلينـا بابَ الحِـوارِ أيّهـا النبيُّ . . نحن نُريدُ أن نَعرفَ لماذا آختيرَ طالوتُ ملكاً علينـا . . إن طـالـوتَ فقيرٌ . . ومن الـرُّعـاةِ . . ليس من عـائِلةٍ كبيـرَة ولا تاريخَ له في الحرب ولا في الحُكمِ ولا في السِّيـاسـةِ . . أليس من حقِّنـا أن نسأَلَ لماذا فَضَّلَه الله علينا ؟

قـال النبيُّ : عِلمُه هـو الـذي فضَّلَه عليكُم . . لقـد آتـاهُ الله بَسـطةً في العِلمِ والجِسمِ . .

قال سادةُ بني إسرائيلَ : إنّ فينـا من هو أقوى منه جَسداً وأكثَر منه عِلماً . .

قـال النبيُّ : أَيُّهـا السَّـادة . . لقـد أَفهمتُكُم أكثَـر من مـرةٍ أن العِبـرةَ في الحُكم بِقُـدرةِ الحـاكِم عـلى قِيـادةِ الشعبِ ، ولقـد حـدَّثتكُم أن آختيـارَه للمُلكِ جـاءَ من الله . . وليس لـي أن أسألَ الله لماذا آختـارَه للمُلك . . لعله آختارَه لِيَبتَليه . . من يَدري ؟ إن أَحداً لا يعـرفُ أسـرارَ الله وحِكمتَـه في خَلقِه .

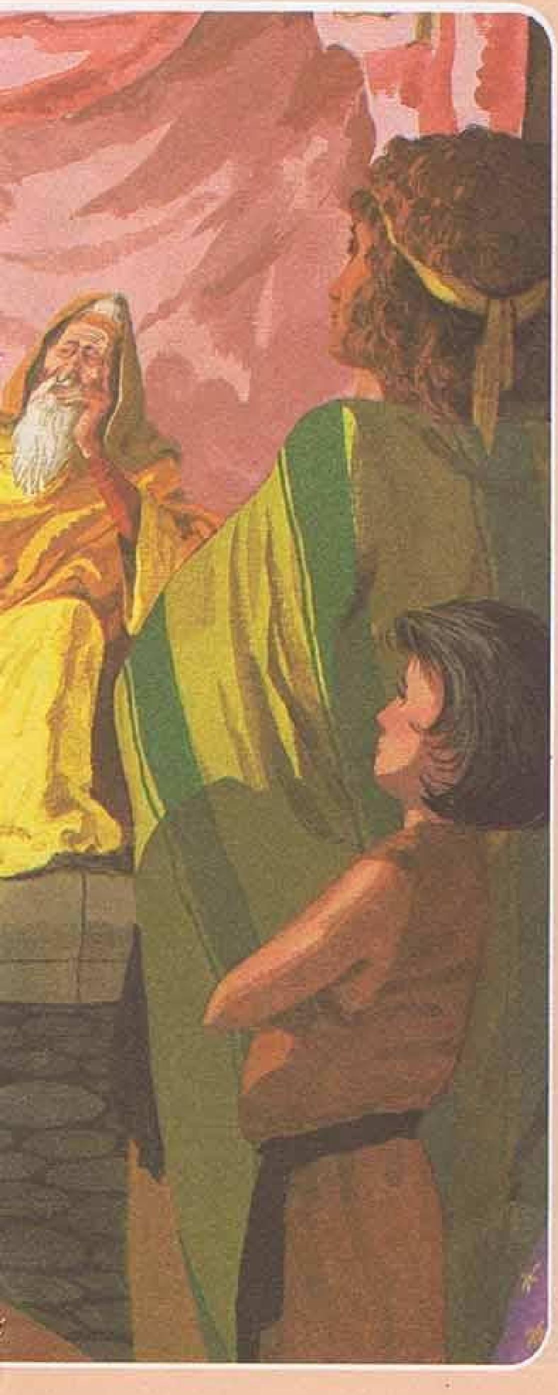

قال سادةُ بني إسرائيلَ : كيف نتأكَّدُ أَن الله هـو الـذي آختـارَه لنـا ؟ نُـريـدُ مُعجِزةً تُثبتُ صدقَه .

قالَ نبيُّهم : آذهبوا إلى المَعبـدِ غداً

فسوف تَقعُ المُعجزةُ ويَأْتيكُم تابوتُ العهدِ .

آحتَشدَ خلقٌ هائلٌ من بني إسرائيلَ في اليومِ التّالي آنتِظاراً لوُقوعِ المُعجِزةِ . . كان تابوتُ العهدِ يَضُمُّ بَعضَ أَلواحِ التوراةِ التي أُنزلتْ على موسىٰ ، كما كان فيه بعضُ آثارٍ تَركَها موسىٰ وهارُون . . وكان هذا التابوتُ

قـد سُـلِبَ منهم وآستـولى عليـه عَدُوُّهم . .

وقـفَ النـاسُ يَنـتـظِرونَ وُقـوعَ المُعجِـزَةِ . . وفي الوقتِ الـذي حدَّدهُ نبيُّهم فُـوجِئـوا أن التـابـوتَ يَعـودُ إلى مكـانِه في المَعبـد ، حَملتهُ المـلائِكَةُ وَوضَعتهُ في مكانِه وسطَ دهشةِ النـاسِ وآنبِهـارِهم . . لم يَـروا المَـلائكـةَ ولكنَّهم رأوا تـابوتَ العَهـدِ يَسبحُ بِبطءٍ وجَلالٍ إلى مكانِهِ في المَعبدِ .

وأحسَّ النـاسُ بالسَّكينـةِ وآطمأنّـوا لاختيارِ طالوتَ مِلكاً عليهِم . .

وهكـذا أصبحَ طـالـوتُ ملِكـاً على قَومِه . .

قَـدَّم الناسُ لـه فروضَ الـطّاعـةِ في حفلٍ كبيرٍ وآنتظَروا أوامِرَه . .

كان أولُ أمرٍ أصدَره طالـوتُ أن يَبدأَ تكـوينَ جيشٍ قـويٍّ يتَـدربُ عـلى القِتالِ . .

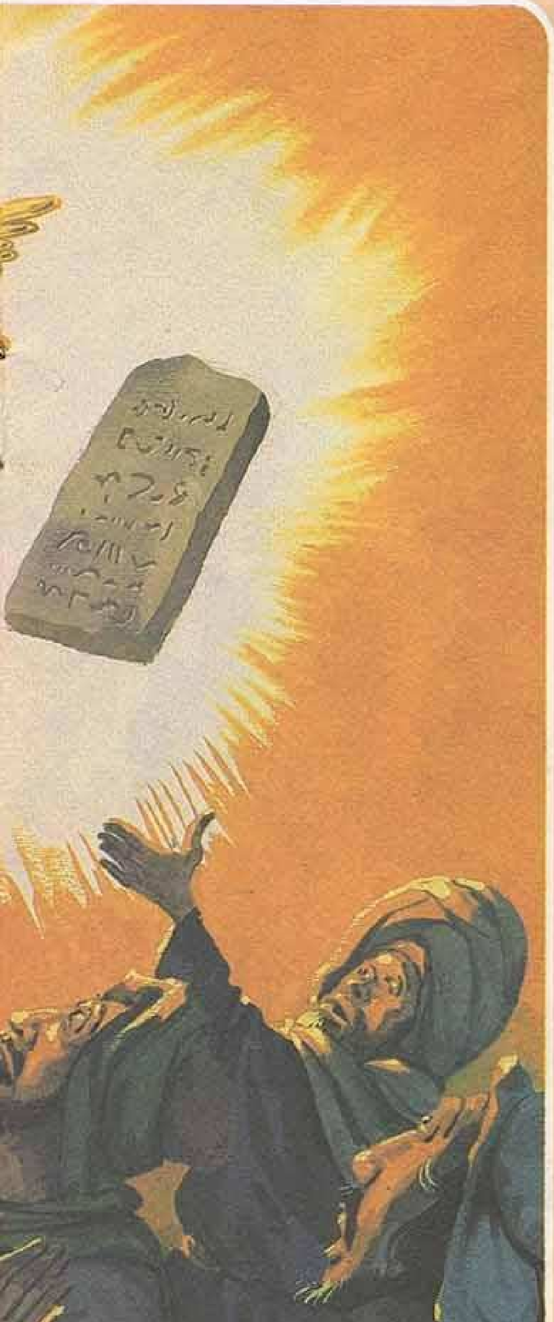

أرسـلَ طـالـوتُ في كـلِّ قُـرى بني إسـرائيـلَ يـدعـوُ الشبابَ القـادرَ على حملِ السلاحِ إلى الحـرب . . آنضمَّ إلى الجَيشِ جَمْـعٌ كثيـرٌ من الشبـابِ والرجالِ . . وبـدأتْ مصانـعُ الدُّروعِ والأسلحةِ تَعملُ ، وبـدأَ التدريبُ على آستِخدامِ الأسلحةِ . .

كان طالوتُ يعرفُ أَن الحـربَ تَعني

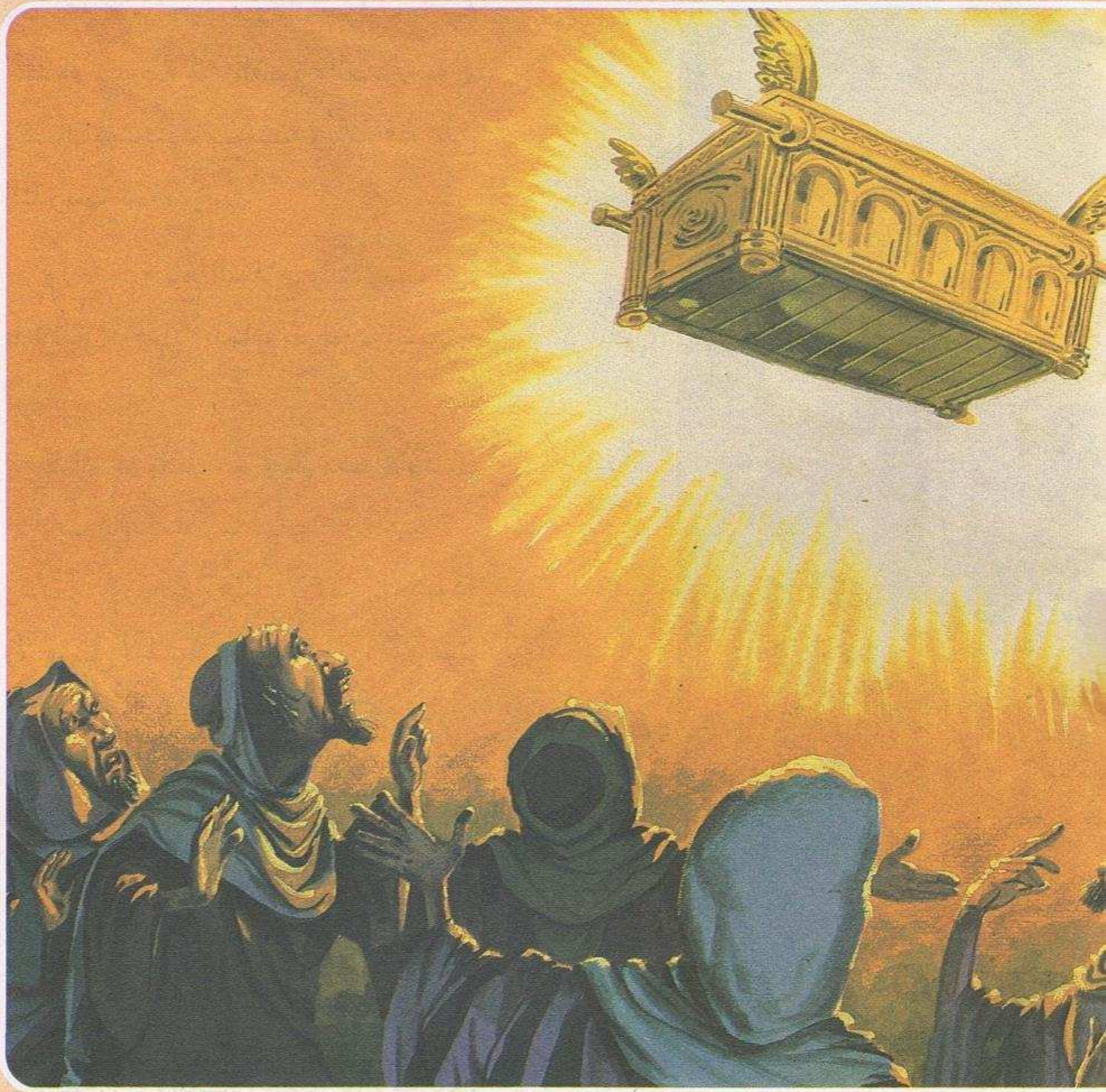

تَوظيفُ كلّ قُوةِ الشعبِ وقِيادتِـه لِهدفٍ واحدٍ . . هـو النصـرُ العسكـريُّ . . وكان يعرفُ أن الحُروبَ تَقتضي نَفَقاتٍ كـثيـرةً وآسـتِعـداداتٍ ضـخـمـةً .

إن الحـربَ هي السِّـلاحُ والإنسانُ الـذي يَستخـدِمُـه . لا بـدَّ من تـوفيرِ السِّلاح إذاً . .

وبدَأ طالوتُ في تَوجيهِ كلِّ قُوةِ قَومِـهِ

لِصناعةِ الأسلحةِ ، وكان يـرقُبُ بِنفسِه حظَّ الأسلِحةِ من القُوةِ والصَّلابـةِ ، وكـان يَمتحِنُها بنفسِـه ويُشرفُ على التَّدريب شَخصِيّاً .

وآستمرَّ صُنعُ السلاحِ والتَّدريبِ فَترةً طَويلةً ، حتى آطمأَنَّ طالوتُ لِسِلاح قومِه . .

كان عدوُّهُم هو جالوتَ ، وكان جالوتُ قائِداً عَظيماً لم يَهزِمْهُ أَحدٌ . . وكانَ يَتبعُه جيشٌ هائِلٌ لا نِهايةَ لِجُنودِه ولا مثيلَ لأسلحَتِه في القُوةِ . . وكانَ جالوتُ يُشبِهُ إعصاراً مُدمِّراً لا يُقاومُه أَحُد .

كان طالوتُ حَكيماً فأَدركَ أن جَوهَر النَّصرِ لا يَكمُن في قُوةِ السلاحِ بِقدرِ ما يَخضَعُ لِقُوةِ الإرادةِ ، أدركَ أن الغَلَبةَ ليستْ بأَعدادِ الجُنودِ إنما بِصلابةِ العَزيمة . . وهكذا آطمأنَّ طالوتُ لِقوةِ الجيشِ ، ولكنّه لم يكُن قد آطمأَنَّ بعد لِقُوةِ الرُّوحِ المَعنويّةِ عند الجُنودِ والقادةِ . .

ولهذا قرّرَ أن يَمتحنَ هذا الجيشَ قبل أَن يَخوضَ به المعركةَ الحاسِمة مع

عدوِّهم جالوت . .

وأَمر طالوتُ جيشَه أن يسيرَ وسطَ صحراءٍ مُحرقةٍ . .

ظلَّ الجيشُ يسيرُ أيّاماً وليالِيَ وسطَ

هــذه الصحــراءِ حــتى بــلغَ العــطشُ بالرجالِ كلَّ مَبلغٍ . .

وآنتهىٰ كــلُّ المــاءِ الــذي يَحمِلُه الجُنودُ والضُّباطُ . .

كانت نِهايةُ الرِّحلةِ في الصحراءِ قد آقتربَت ، وكان طالوتُ يعرفُ أن هناكَ نَهراً قَريباً ماؤهُ شديدُ العُذوبةِ ، وقرَّر طالوتُ أن يكونَ هذا النهرُ هو أولَ

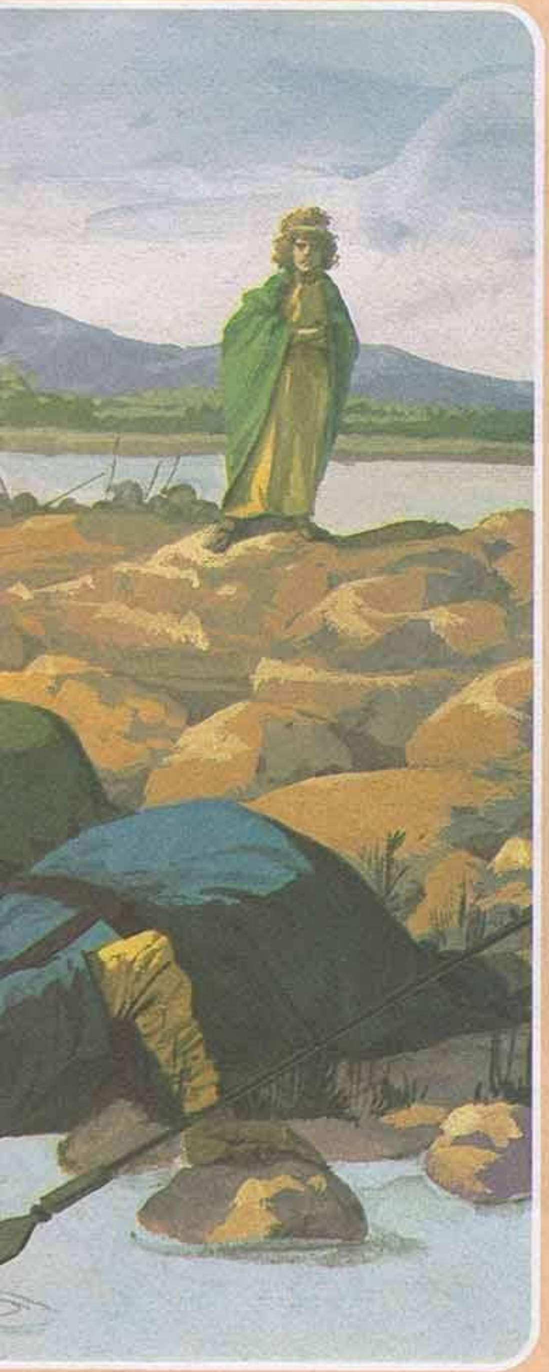

آمتحانٍ عَمليّ لجيشِه . .

جمعَ طالوتُ قادةَ الجُندِ والألوِيَـة وقـال لهُـم : نَقتربُ الآن من نهـرٍ سوفَ يَعبُـرهُ الجيشُ . . لا تَشـربـوا مِن هـذا النهرِ . . بلِّلوا شِفاهَكُم وأيديَكُم بالماءِ فقط . .

قـال قـادةُ الجُنـدِ : لكن الجيشَ يحسُّ بالعَطشِ . .

قـال طالـوتُ : من يشربُ من هـذا النهـرِ فليسَ منِّي . . إلا من آغتـرفَ غـرفـةً بيـدهِ . . ومن يشـربُ من النهرِ فَلينسحـبْ من الـجيشِ . . آعـلمُـوا أن الله يراكُم .

آنقُلوا أَوامِري للجُنودِ وتَهيّأوا لعبورِ النهرِ . .

نَقـلَ القادةُ والضُّبـاطُ أوامرَ طـالوتَ للجُنودِ ، وبدأَ الجيشُ يعبرُ النهرَ . .

كـانَ الامتحانُ قـاسِياً . . فـالـدُّنيـا شَـديـدةُ الحَـرارةِ ، والمـاءُ عـذبٌ وباردٌ . . والإغراءُ قويٌّ . .

وشربَ مُعظمُ الجنُودِ من النهرِ ولم يَستطيعوا مُقاومةَ الإغراءِ . .

آنتهى عبورُ الجيشِ للنهرِ . .

أَخرجَ طالوتُ كلَّ من عصىٰ أَوامـرَه وشربَ من النهرِ . .

كـان الجيشُ كبيـراً قَبـلَ أن يعبُـرَ

النهرَ ، ولكنّه بعدَ عُبورِ النهرِ وخُروجِ من خرج منه تغيرَ تماماً . .

آنكمَشَ الجيشُ إلى أقلّ من النِّصفِ . .

قالَ قادةُ الجيشِ لِطالوت : لقد آنكمشَ عَددُنا كثيراً . . فكيفَ نُقاتلُ جيشَ جالوتَ الهائلِ بهذا العددِ القليلِ ؟

قالَ طالوتُ : ليسَت العبرةُ في

القِتالِ بعددِ المُقاتلين، المُهم إرادَتُهم .

قالَ القادةُ : لقد خرجَ مُعظمُ الجيشِ . . ولم يبقَ سِوى القليلِ .

قالَ طالوتُ : بل بقيَ الكثيرُ . . لقد خرجَ غيرُ المُخلصينَ . . وبقيَ المُخلصونَ الصَّابرونَ . . والصبرُ طريقُ النصرِ وأداتِه . .

وآنخرط الجيشُ في حوارٍ حولَ ما فعلهُ طالوتُ . .

قال أحدُ الجُنودِ : لو أن طالوتَ تَركنا نشربُ من النهرِ لزادَ عددَنا ونحن نُحاربُ جالوتَ . .

قالَ ضابطٌ في الجيشِ : إن العددَ لا يكسبُ الحربَ أبداً . .

تساءَلَ الجُندي : ما الذي يُكسِبُ الحروبَ إذن ؟

قال الضابطُ : شيءٌ ليس هو السلاحُ ، وإن كان السلاحُ مُهماً ، وشيءٌ ليس ظاهِراً وإنما هو خفيٌّ . . شيءٌ يُسمُّونَه الرُّوح . . . أو إصرارُ الروحِ على الكسبِ . إن الجُنديَّ

الذي لا يَستطيعُ الصّبرَ على العطشِ لا يستطيعُ الصبرَ على حرارةِ المعركةِ وعَطشِها . . والجُندي الذي لا يتبعُ أوامِر قائِدِه يُمكنُ أن يُؤدّي لإرباكِ

الجيشِ كُلهِ في المعركِةِ .

لقـدَ خـرجَ من الجيشِ ضعـافُ الـروحِ . . وبَقيَ الأقـويـاءُ . . وغـداً نَرى مَا نفعلهُ مع جَالوت . .

وشـاعَ الإيمـانُ العميقُ في الجيشِ وقـالَ المُؤمنـونَ : ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَليلَةٍ غَلَبَتْ فِئَـةً كَثِيـرَةً بِـإِذْنِ ٱللهِ وَٱللهُ مَـعَ ٱلصَّابِرِينَ ﴾ .

مطابع الشروق
القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ ـ فاكس : ٣٩٣٤٨١٤
بيروت : ص ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث
لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال
ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا
وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم
بالظالمين ۝ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا
قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة
من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم
والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم ۝ وقال لهم نبيهم إن
آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل
موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم
مؤمنين ۝ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر
فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف
غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا
معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون
أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله
مع الصابرين

صدق الله العظيم

قصص القرآن

السامري والعجل

قلم: أحمد بهجت ريشة: مصطفى حسين

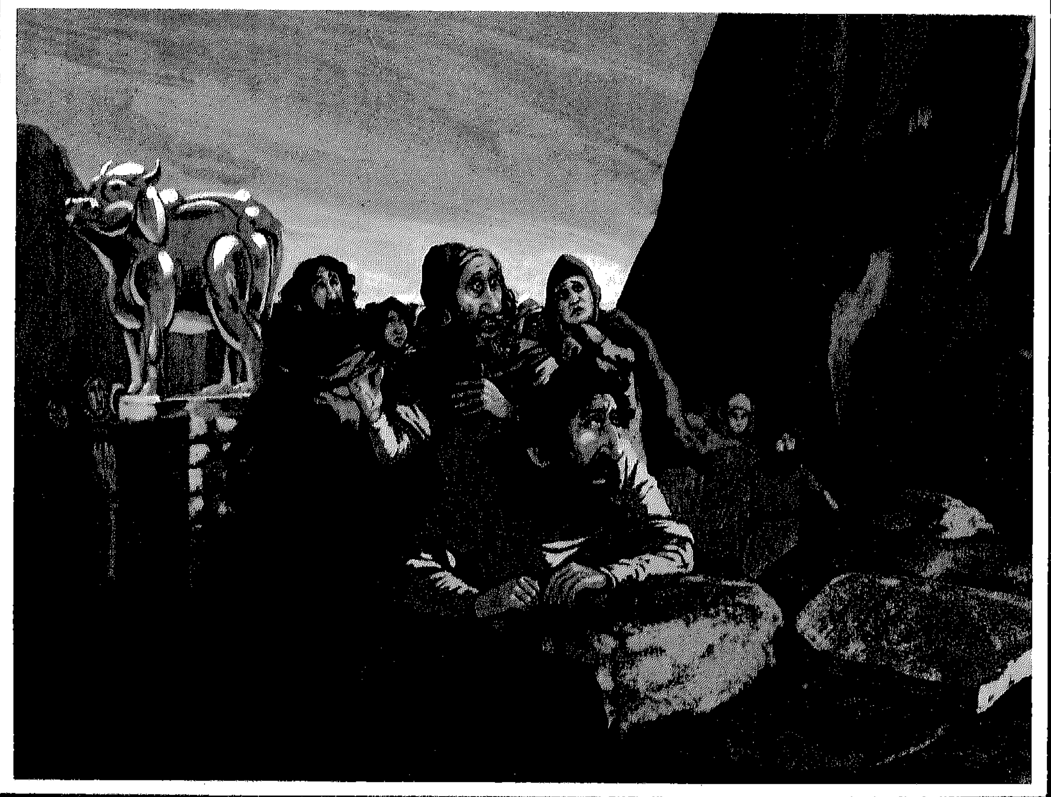

دار الشروق

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
الطبعة الثانية
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م
الطبعة الثالثة
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م
الطبعة الرابعة
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني: email: dar@shorouk.com

قصص القرآن

السامري والعجل

قلم : أحمد بهجت   ريشة : مصطفى حسين

دار الشروق

كان السَّامِريُّ رجُـلاً من بني إسرائيلَ ، وقد خرجَ معهُم حين خَرجوا من مصرَ . .

وقد لاحظَ السَّامريُّ أمرينِ وهو يَسيرُ مع قـومِ مُـوسَى بعـدَ هـلاكِ فِـرعـونَ وجُنودِه ونجاةِ بني إسرائيلَ .

لاحظ أن بني إسـرائيـلَ كـانـوا قـد آقترَضوا من المصريِّينَ كثيراً من الحِليٰ الذَّهبِ ـ كعادةِ الخدمِ حين يَقترضـونَ من سـادتِهم بعضَ حِليهِم للظُّهـورِ بهـا في حفـلٍ أو مناسبـةٍ ، ثم يَـرُدُّونَـها بعد ذلـك ـ لكن المِصـرِيِّينَ هَـلكـوا في البحـر . . وبذلـكَ صارَ الـذهبُ مُلكـاً لبني إسرائيلَ .

كـان السَّـامـريُّ يُفكِّـرُ في هـذا الذهبِ ، وكان هذا آكتشافُهُ الأوّل . . أَما مُلاحظتُه الثَّانيةُ أو آكتشـافُه الثـاني فكان عجباً . .

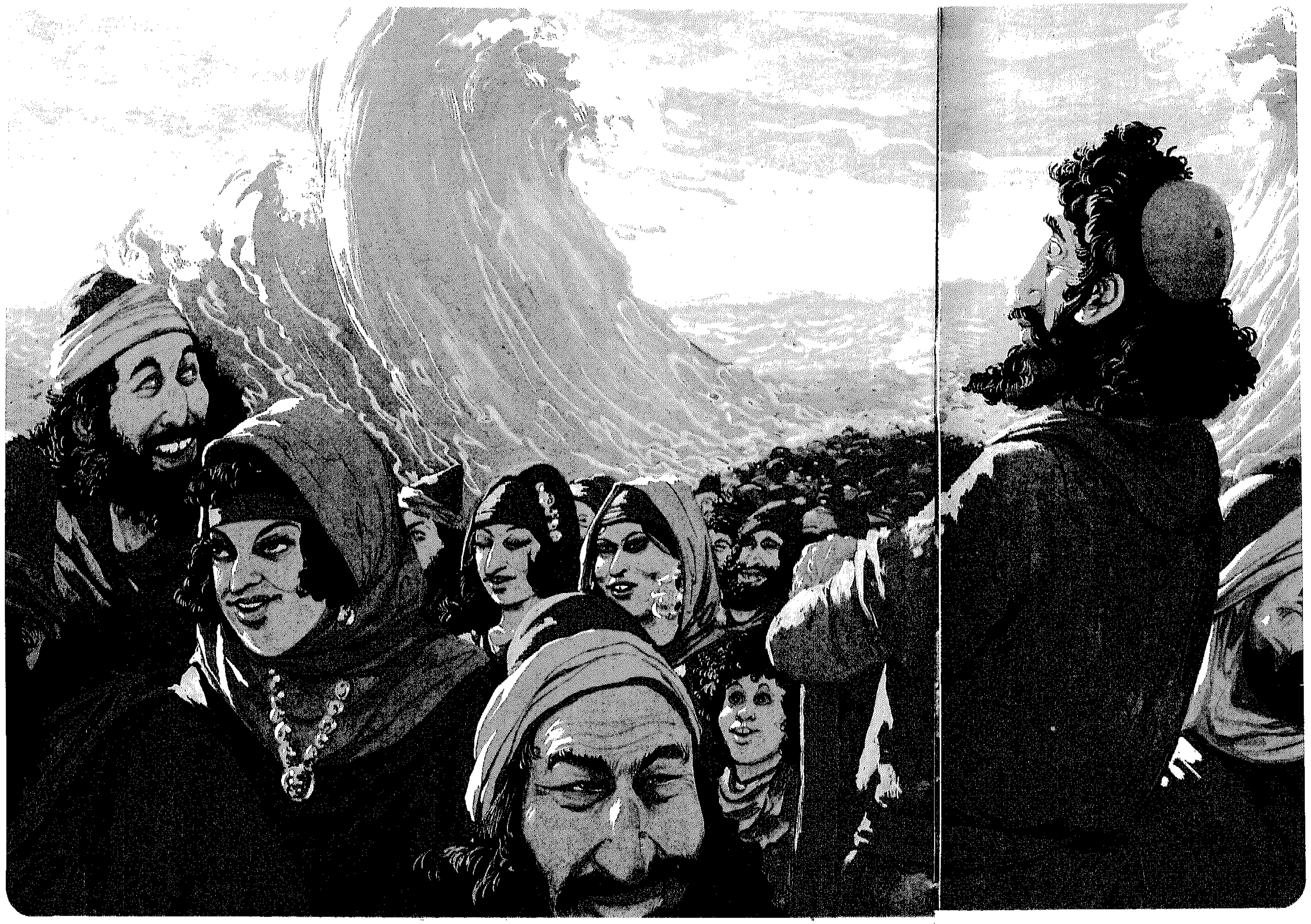

لاحظَ أَن هناكَ فارساً جليلاً وغامضاً لا يظهرُ وجهُهُ يَتَقَدَّمُ قافِلةَ موسىٰ ، وقد ظهرَ هـذا الفـارسُ حين آنشقَّ البحرُ لِمـوسىٰ ، وكَـان حـافـرُ حِصـانِ هـذا الفارسِ الكريمِ لا يقـعُ على شيءٍ إلا دَبَّت فيه الحياةُ ونَبتَ فيه الزَّرعُ .

وأدرك السَّـامـريُّ أن هـذا حِصـانُ جبـريـلَ عليـه السَّلام ، وآنحنىٰ على الأرضِ وقَبضَ قَبضـةً من أَثـرِ هـذا الـرَّسولِ الكـريم جِبريـلَ ووضعَها في ثيابه . .

جاوزَ بنو إسرائيلَ البحرَ . . وساروا قليـلاً في سِينـاءَ . . مـرُّوا على قـومٍ يَعكِفونَ على عِبادةِ أَصنامِهم . . وَقفوا يتأمَّلونَ المشهدَ بإعجابٍ خفيٍّ .

كان المَفروض أن بني إسرائيلَ هم حَمَلةُ التَّوحيدِ في الأرضِ في هذا الزمانِ البَعيدِ . . كان المَفروض أنهم شاهَدوا المُعجزَةَ الكُبرىٰ التي وَقعتْ لهم بِشقِّ البحر . . كان المَفرُوض أن يكُونوا مُدرِكينَ أن جيشَ فِرعونَ قد غرِقَ لِكُفرِه باللهِ ، وأنهم نَجوا لإيمانِهم باللهِ . .

رغمَ كل هذهِ الحَقائِق .

لم يكدْ بنو إسرائيلَ يَشهدونَ قوماً يَعْبُدونَ أَصناماً لهم حتى آستيقَظَ فيهم حَنِينُهُم لِعِبادةِ الأصنامِ . . وتذكَّروا أيامَ كانوا خدماً وعبيداً عند المصريِّينَ ، وكيف كان سادَتُهُم يَعبُدونَ أصناماً كثيرةً تَنْتَهي في قِمَّتِها بفرعونَ ، ويبدو أن رَغبةَ بني إسرائيلَ في عبادةِ شيءٍ ملموسٍ تَرجمتْ عن نَفسها حين قالوا لِموسىٰ :

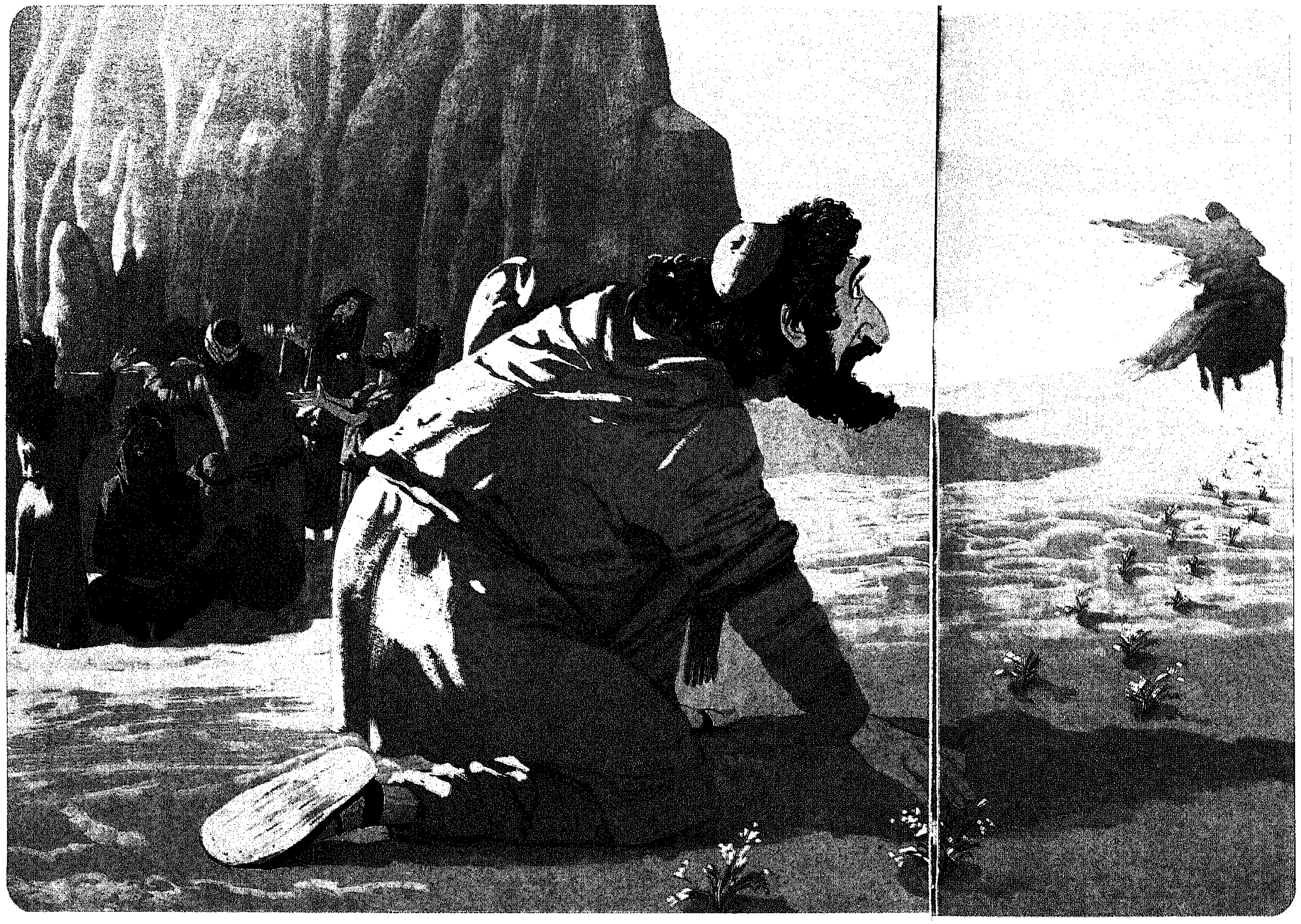

﴿ يا مُوسىٰ . . آجْعَلْ لَنا إلٰهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ . .

غضِبَ موسىٰ وقالَ : **﴿ إنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾** . . **﴿ أَغَيْرَ ٱللهِ أَبْغِيكُمْ إلٰهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلى ٱلْعَالَمِينَ ﴾** . . كيف تُريدونَ العَودةَ إلى عِبادةِ الأصنامِ وأنتم أَهلُ تَوحيدٍ ؟

آستَمعَ بنو إسرائيلَ لقولِ موسىٰ وَسكتوا . . ولاحظَ السَّامريُّ هذا كُلَّه . . وبدأَ ذِهنُه يعملُ .

وقعتْ مُشاجراتٌ كثيرةٌ بين بني إسرائيلَ . . كان مَصْدرُها ذهبُ المِصريِّينَ الذي حَمَلُوه معهُم حين خَرجوا من مِصرَ . لقد صارَ هذا الذهبُ الآنَ مُلكاً لهم بعد أن آنطبقَ البحرُ على جيشِ فِرعونَ وجُنودِه . .

وبدأ كلُّ واحدٍ من بني إسرائيلَ يعتبرُ أن الذَّهبَ قد صارَ من حقِّهِ ، وراحَ الناسُ يُفكِّرونَ ماذا يَفعلونَ بهذا الذَّهبِ .

وتَشاجرَ البعضُ منهم على الذَّهبِ وآدّعىٰ بعضُهم أَن ذهبَ الآخرينَ مِلكٌ له . .

ولاحظَ هارونُ هذا كلَّه فأَبلغَ موسىٰ ، فأمره موسىٰ أن يَجمعَ الحِليٰ الذَّهبَ من بني إسرائيلَ كلَّها ويَدفُنَها في الأرضِ . . وكلَّف هارونُ رجلاً فاضلاً من بني إسرائيلَ أَن يجمعَ الذهبَ منهم ، ويُسلِّمَه إليه . .

فَردَ رسولُ هارُونَ عباءَتَه على الأرضِ حتى آمتلأَتْ بالحِليٰ الذَّهبِ ، وحملها إلى هارُون ، الذي حَملَها بِدورِه إلى موسىٰ . .

وأَمرَ مُوسىٰ أَن تُحفَرَ لها في الأرض حُفرةٌ يُلقىٰ فيها الذهبُ كما هو في العباءَةِ . . ومضىٰ يهيلُ الترابَ عليه وهو يقولُ :

– هذا ذهبُ المِصريِّينَ . . وهو ليس من حقِّنا . . وفِتنَتُه أكبرُ من فائدتِه .

كان السَّامريُّ يلاحظُ هذا كلَّه وراح ذِهنُه يعملُ بِسرعةِ البرقِ لاحظَ المكانَ الذي دَفنَ فيه مُوسىٰ الذهبَ . . وعرفَ كيف يصلُ إلى المكان إذا أرادَ . . وعبرتْ ذِهنَه صورةُ العِجلِ أبيس . . معبود المِصريِّين . . وهم يحتفِلونَ به . . وراحتْ صورةُ الحِليٰ الذّهبية ، وصورةُ القبضةِ التي قَبضها من أثرِ الرسولِ جبريلِ عليه السَّلام ، راحتِ الصورتانِ تعبُرانِ ذهنَه وتَلحَّانِ عليه إلحاحاً . .

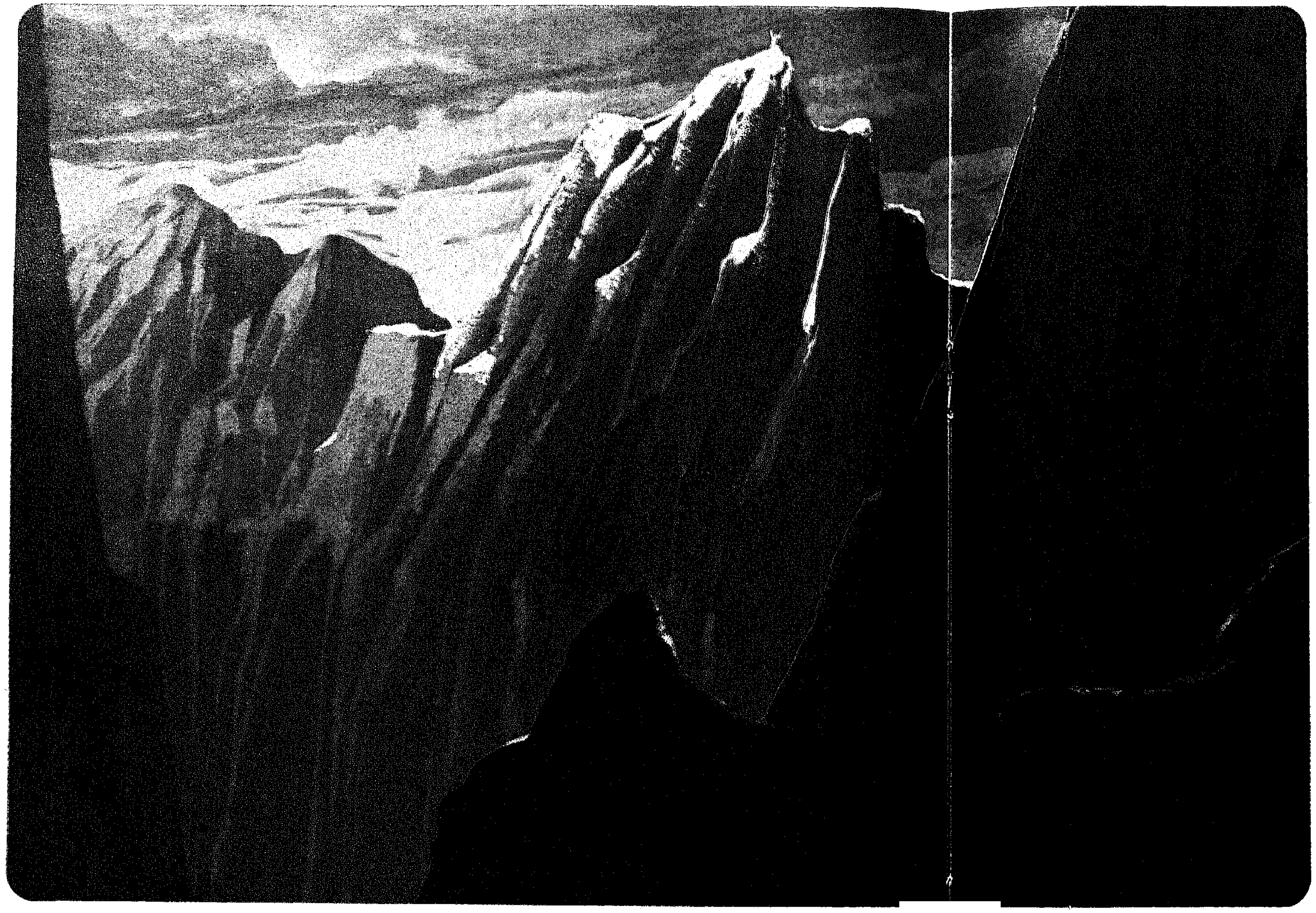

خرجَ موسى عليه السَّلام لِمُلاقاتِ رَبِّه . . قالَ لأخيهِ هارونَ :

﴿ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ .

سار مُوسىٰ طَويلاً في الصَّحراءِ حتى ٱنتهىٰ إلى الوَادي الذي ناداهُ الله عزَّ وجلَّ فيه أوّل مرةٍ . .

عبرَ الوادي المُقدَّسِ وصَعدَ الجبلَ وبدأ يُهيِّىءُ نفسَه لِميقاتِه مع الله . . كان يصومُ النهارَ كلَّه ويَتعبَّدُ الليلَ كلَّه . . كانتْ نفسُه ترتفِعُ من كمالٍ إلى كمالٍ أعظَم ، وكان الله تعالىٰ يفيضُ عليه من التَّجلياتِ والأنوارِ . .

ووسطَ جلالِ الجبالِ وٱمتدادِ السماءِ وحركةِ السُّحبِ . . بدا موسى مِثل نُقطةٍ صَغيرةٍ وسطَ هذا الجَلالِ الكونيِّ الذي يَتلقَّى من اللّهِ فُيوضَ أنوارِه . .

وأتمَّ موسى ميقاتَ ربِّه أربعينَ ليلةٍ . . وكلَّمهُ الله تعالىٰ تَكليماً . .

أنزلَ عليه التَّوراةَ . .

وسألَه الله تعالىٰ لماذا سَبقَ قَومَه وجاءَ إليهِ . .

﴿ قَالَ : هُمْ أُوْلَاءِ عَلَى أَثَرِي . . وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ . .

عندئذٍ حدَّثه الله تَعالىٰ أن قومَه قد ٱفتُتِنوا من بعدِه . . حدَّثه اللّهُ عمَّن أَضَلَّهُم .

كان السَّامريُّ هو الجاني الذي أخبرَ الله بٱسمِه . .

لم يكدْ موسىٰ يَخرجُ لِميقاتِ ربِّه حتى بدأ عقلُ السَّامريِّ يعملُ . . تأمَّلَ أحوالَ بني إسرائيلَ وأدركَ أن القومَ

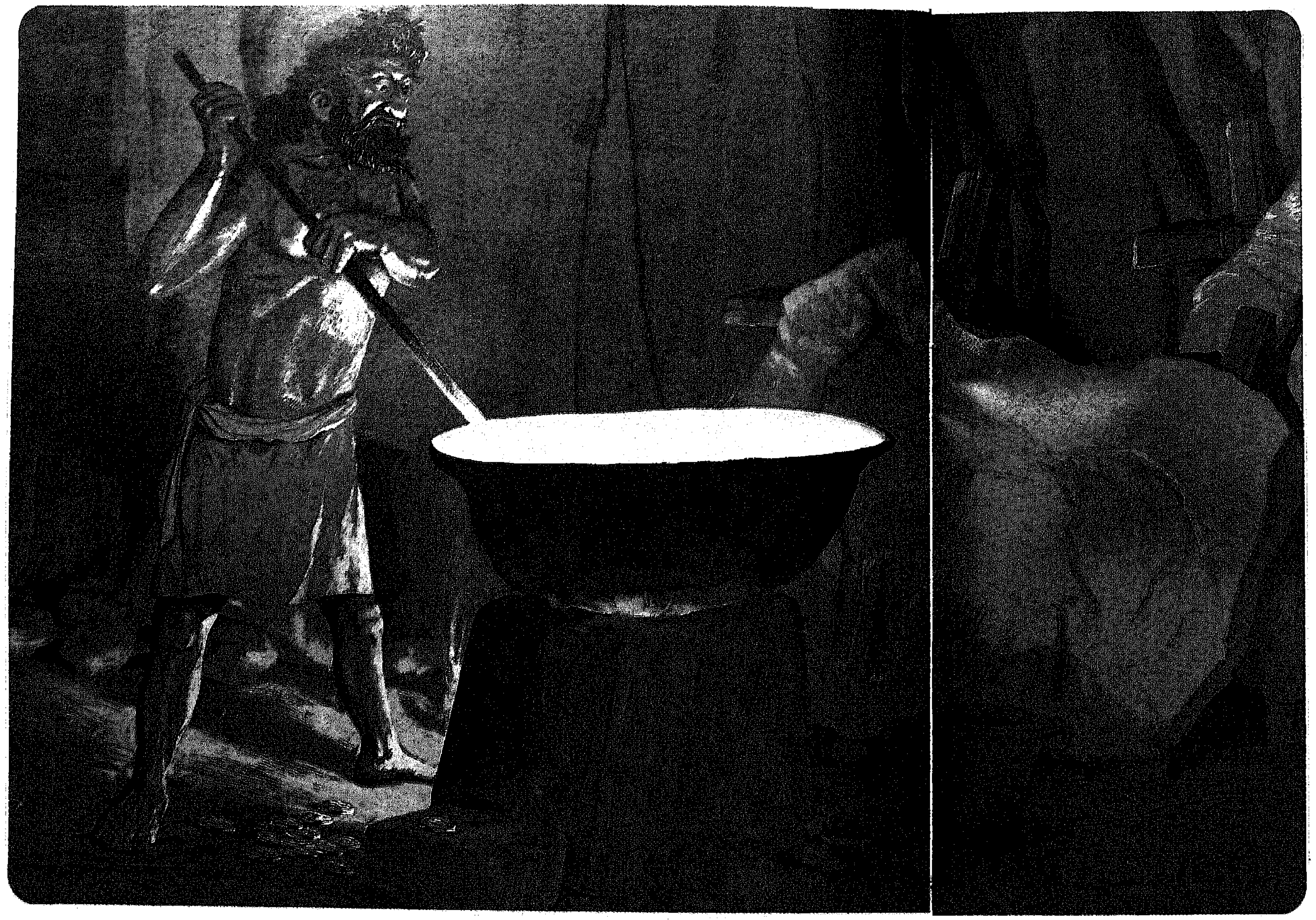

يتحــرَّقــونَ شَــوقــاً إلى عبــادةِ شيءٍ مَلموسٍ . .

كــانتْ هنــاكَ رغبــةٌ عــامــةٌ في الوثَنيةِ . .

وكـان كـلُّ مـا فَعَله السَّـامـريُّ أنـه آستجابَ للرَّغبة العامةِ ، وهَكذا تسلَّلَ في جنحِ اللّيلِ إلى المكانِ الذي دَفنوا فيـه ذَهبَ المِصـريِّينَ ، وآستخـرجَـه وأوقدَ ناراً وبـدأ يصهرُ الـذهبَ . . كان يُفكِّـرُ في العِجـلِ أَبيس . . معبـودِ المِصـريِّين القَديمِ . . وقـررَ أن يَهدي بني إسرائيلَ عِجلاً مثله . .

أَلـمْ يـقـولـوا حيـنَ رأَوا عَـبَـدةَ الأصنـامِ : آجعـلْ لنـا إلهـاً كمـا لهُم آلهـةٌ . . سَيُحقِّقُ لهم السَّـامـريُّ هـذه الرغبةَ . .

بـدأَ يصنعُ قـالباً لعجـلٍ ، ثم وضعَ فيه الذهبَ الـذي آنصهَر ، ووضـع مع الـذهبِ قبضـةَ الحيـاةِ التي قَبضهـا من تُـرابٍ سارَ عليـه جِبريـل . . وآنهمـكَ طوالَ الليلِ كله يصنعُ تمثالَه . .

حتى إذا وافَى الليـلُ نِهـايتَـه كـان السَّـامـريُّ قـد آنتهَى من صُنعِ عِجلهِ الذَّهبيِّ . . وكان العِجلُ لِدَهشتِه يَخورُ مِثـلَ عِجـلٍ حقيقيٍّ . . أهي قبضـةُ الحياةِ التي تجعلُه يخورُ . .أم هو الهواءُ الـذي يَـدخـلُ من ظهـرِهِ ويخـرجُ من فمـه ؟ مَهمـا يكُن من أمـرٍ . . فقـد آنتهىٰ السَّامريُّ من صُنعِ مُؤامراتِـه . . وقررَ وهو يتأمَّلُ العِجلَ أن يُقدمَـه هديـةً لبني إسرائيلَ بوصفِهِ إلٰهُهُم الجديدُ . . وإله موسىٰ . .

سَيقـولونَ لـه : ولكنَّ موسىٰ خـرجَ لِلقاءِ إلٰهِه . .

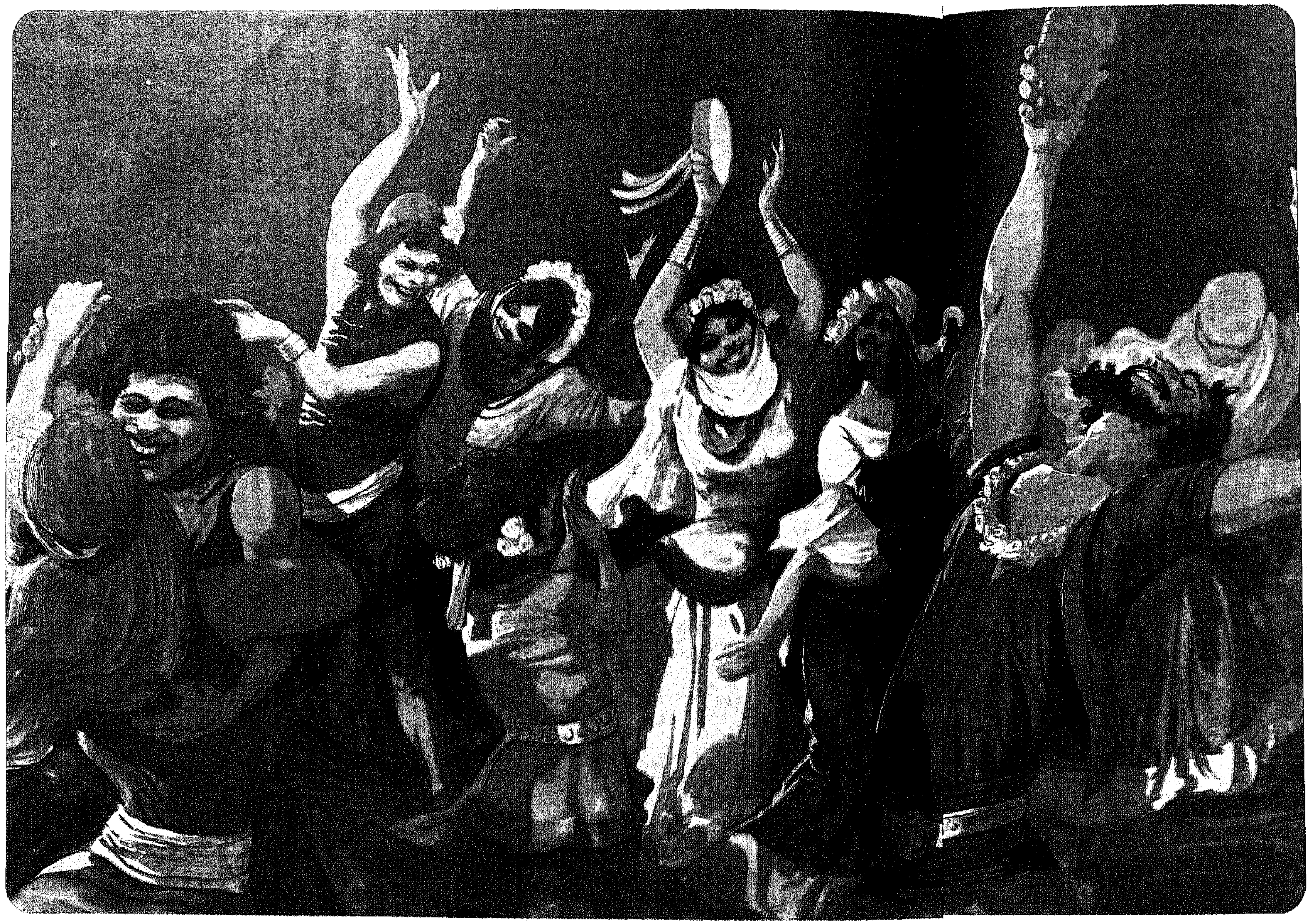

سَيقولُ لهم : لقد نَسيَ موسىٰ . . خَرجَ لِلقاءِ إلٰهِه هناكَ، بينمَا هو هنا . .

هَكذا حدَّثَ السَّامريُّ نَفسَهُ . .

آستيقظَ بنو إسرائيلَ فوجدوا حُلمَهُم قد تحقَّقَ . .

شاهَدوا العِجلَ الذهبيَّ الذي صنعَه السَّامريُّ ، وكان يقفُ جِوارهُ وهو يبتسمُ بذكاءٍ يُحاوِلُ عَبثاً أن يُضفي على سِحنتِه علائِمَ الطِّيبةِ .

خرَّ بنو إسرائيلَ أمامَ العِجل وراحوا يَتعبَّدون له ، ويَذكُرونَ كيفَ كان سادتُهم من المِصريِّين يَصنعونَ أَمامَ عِجلهِم المَعبودِ . . ويُحاولونَ تَقليدَهُم . .

ووصلَ الخبرُ لهارون أن بني إسرائيلَ الذين نجَّاهُم اللّهُ من فِرعونَ يَعبُدونَ عِجلاً من الذهبِ . .

هرعَ هارون فوجدَ القَومَ يرقُصونَ حولَ العِجلِ ويتواجَدونَ .

وقفَ يَصرخُ فيهم : ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓا أَمْرِي** ﴾ . .

لكن القومَ لم يعبأوا بصرختِهِ . . ولا سمعُوا تحذيراته المُتكرِّرة بِفسادِ ما يَعملونَه وضلالِه . .

وقامتِ الفِتنةُ في بني إسرائيلَ . . آنقسمُوا إلى قِسمينِ . . الأغلبيةُ الكافِرةُ طَاوعتْ حَنينَها لِعبادةِ الأصنام ، والأقليَّةُ المُؤمنةُ أدركتْ أَن هذا هُراءٌ . وعادَ هارونُ يَعِظُهم ويُذكِّرُهم بِمُعجزاتِ الله التي آثرهُم بها وأنقذَهُم بها ، ولكنَّ بني إسرائيلَ رَفضوا مَوعِظتَه وآستهانوا بنصيحتِه وآستضْعفُوه وكادوا يَقتُلونَه . .

وخَشيَ هارونُ أن يقومَ الصِّراعُ بين عَبدةِ العِجلِ والمُنكِرينَ لِعبادتِه ،

وخَشيَ أنَ يَقتتِـل بنـو إسـرائِيـلَ ، ولم يكُن موسىٰ موجـوداً ، ومن ثمَّ فقد آثَـرَ هارونُ أن يؤجِّلَ المُشكلةَ حتى يصلَ .

عادَ موسىٰ غَضبان أسفاً . .

ألقى ألـواحَ التَّوراةِ من يـدهِ وصـرخَ في قومه :

﴿ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ﴾ .

ثم تَقـدّمَ نحو أخيـهِ وأمسـكَ بـه من شَعرِ لِحيتِه وشَعر رَأسهِ . . وشـدَّهُ نَحوهُ وهو يَسألُه بِغَضبٍ :

﴿ يَا هَـارُونُ مَـا مَنَعَـكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا . . أَلَّا تَتَّبِعَـنِي . . أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي . . ﴾ .

أنشـأَ هـارونُ يقـولُ ـ وهـو يُحـاولُ تَذكيرَ مُـوسىٰ بِانتِمـائِهما لأُمٍّ واحدةٍ ، لكي تُثيرَ مَشاعرَ الحُنوِّ في نفسه :

﴿ قَـالَ : يَا ٱبْنَ أُمَّ لا تَـأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِـرَأْسِي . . إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُـولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرقُبْ قَوْلِي ﴾ .

تَـراخَتْ قَبضةُ مـوسىٰ التي تُمسكُ بهارونَ قليلاً ، وعادَ هارونُ يقولُ :

﴿ ٱبنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَـوْمَ ٱسْتَضْعَفُـونِي

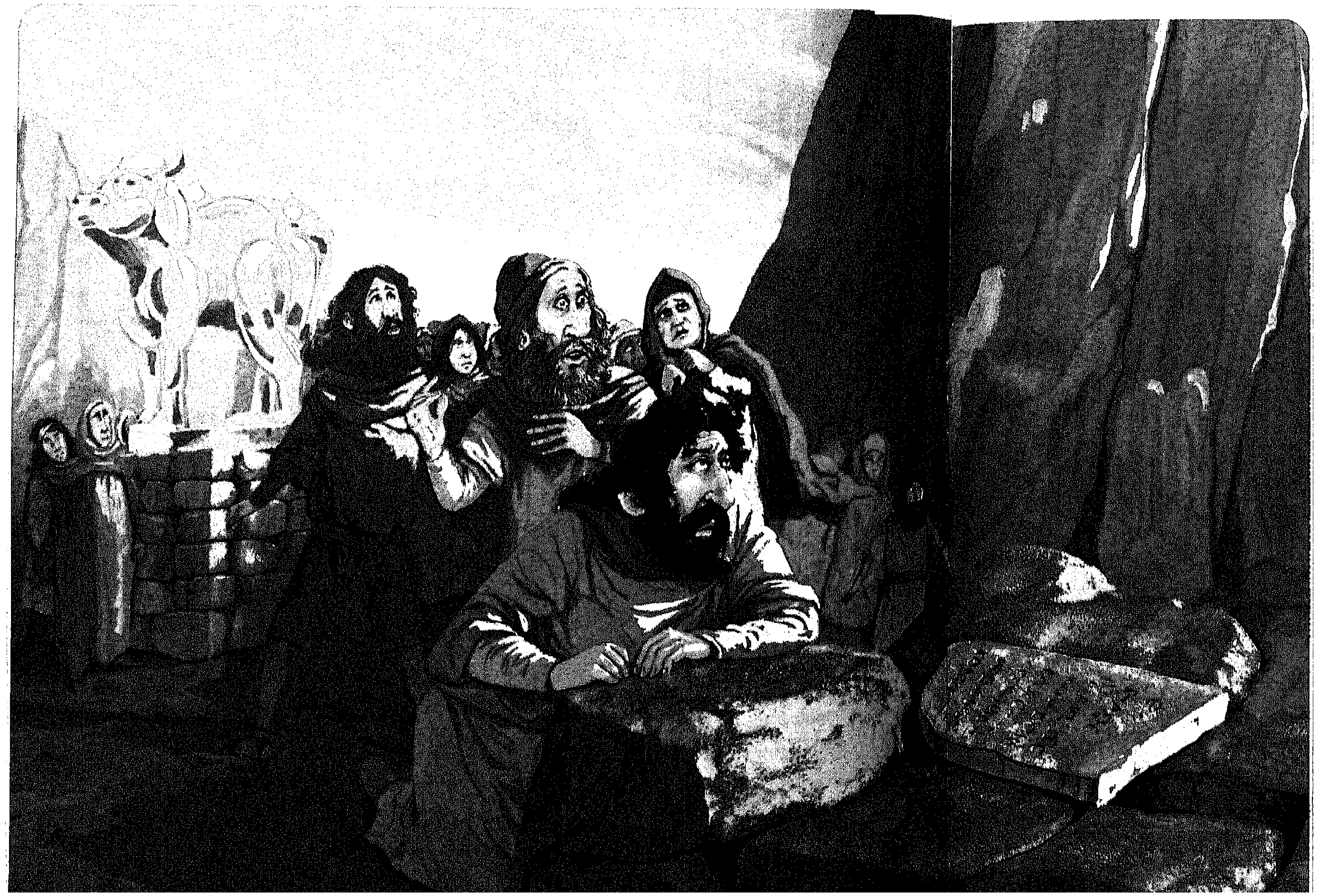

وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلأَعْدَاءَ ﴾ .

أَطلقَ مـوسىٰ سراحَ هـارونَ وهو لم يزلْ يرتَعِشُ . . سأَل :

ـ أينَ السَّامريُّ ؟

بـرز السّـامـريُّ ووجهُـه في لـونِ الليمونِ الأخضرِ . .

سأله موسىٰ :

﴿ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴾ ؟

آعترفَ السَّامريُّ في مُحاكَمَتِه بكل شيءٍ . .

قـالَ كلَّ مـا حـدثَ . . تَفكيرُه في ذهبِ المِصـريِّيـن ، والقَـبضَـةِ الـتي

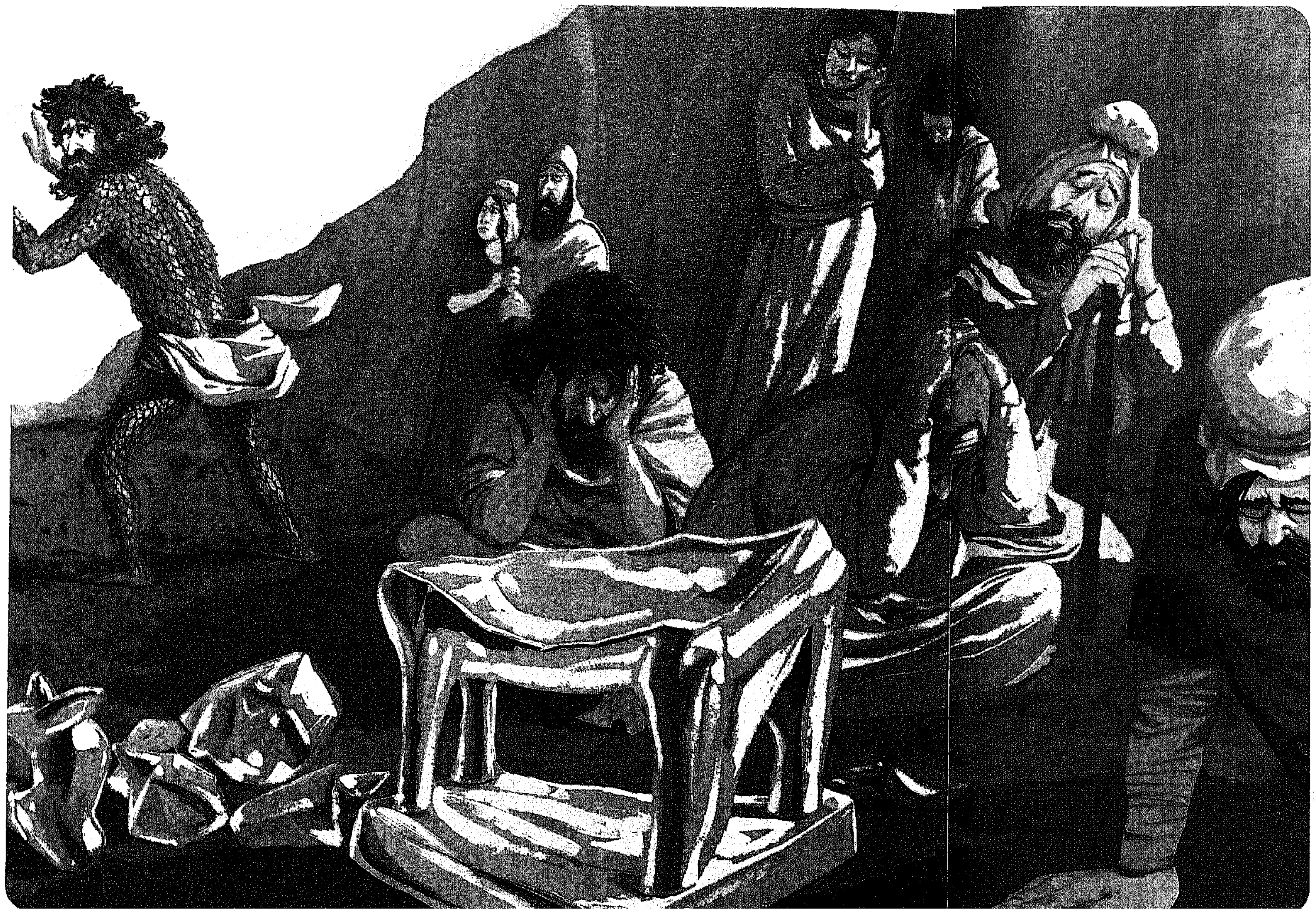

قَبَضَها من أَثرِ الرسولِ جِبريل .

تحدَّثَ عن صِناعتِه لِلعِجلِ . .
وآدِّعائِه أنه إلٰهُ القومِ وإلٰهُ موسى . .

حين وصلَ السَّامريُّ لهذا الحدّ من آعتِرافاتِه صمتَ فَجأةً . . لم يكُن يَعرفُ ماذا يقُولُ . .

سأَلَه موسىٰ بِغضبٍ : لِماذا فَعلتَ ما فَعلتَ ؟

قالَ السَّامريُّ مُنهاراً : **﴿ وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾** .

هَكذا أمرَتني نفسي الأمَّارةُ بالسُّوءِ . وصدر الحُكمُ على السَّامريِّ والعِجلِ معاً . . كما صدَر الحُكمُ على الذين ظَلموا أنفُسَهُم بِعبادةِ العِجلِ . .

أما السَّامريُّ فقد حُكِمَ عليه بالوحدةِ في الحياةِ، حُكِمَ عليه بالنَّفي داخلَ جسدهِ.

قالَ له موسىٰ : **﴿ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مَسَاسَ ﴾** .

هذا يَعني أَن لا يَمسَّ أحداً أو يَمسَّه أَحدٌ . . عقاباً له على مَسِّه ما لم يكن ينبغي له مسُّه من ترابٍ سارَ عليه جِبريلُ عليه السَّلام . .

بعد أَن أصدرَ موسىٰ حُكمَه على مُدبِّرِ الفِتْنةِ حكمَ على أداةِ الفتنةِ بالنَّسفِ ، أمرَ أن يُحرقَ العِجلُ الذهبُ ويُنسفَ وتُلقى بقاياهُ في اليمِّ . . لم يَكتفِ بصهرِهِ أَمامَ عُيُونِ القومِ المَبهوتينَ ، وإنما نسفَه في البحرِ نَسْفاً ، وتَحوَّل الصنمُ المعبودُ أمامَ عيونِ المفتونينَ به إلى رمادٍ يتطايرُ في البحرِ . . وآرتفَع صوتُ موسىٰ والصنمُ يَحترقُ . . **﴿ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ، وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾** .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۝ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ۝
فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا
حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم
مَّوْعِدِى ۝ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ
ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ۝ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا
لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ۝ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ
إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۝ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن
قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ۝
قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۝ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ
إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ۝ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ
بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِى ۝ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ۝ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ
فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ۝
قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ
وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا
إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۝

صدق الله العظيم

قصص القرآن

أصحاب الجنة

قلم: أحمد بهجت

ريشة: مصطفى حسين

دار الشروق

الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

الطبعة الثانية
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

الطبعة الثالثة
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسنى ـ هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ ـ ٣٩٢٩٣٣٣ فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣ برقيا : داشروق ـ تلكس : SHOROK 20175 LE

قصص القرآن

أصحاب الجنة

قلم : أحمد بهجت   ريشة : مصطفى حسين

دار الشروق

قال الشيـخُ الحكيمُ لِتلميـذِه الشابِّ :

ـ تُشبِه أيامُ الـدُّنيا ولَيـاليها أوراقـاً في آمتحانٍ تَتعاقبُ أَسئِلَتُه .

ومـا أكثرَ المـواقف التي تَمُرُّ بنـا في الحياةِ فلا نعرفُ أنها كانتِ آمتِحانـاً إلا بعد أن تَمضي بزمنٍ . .

سكتَ التلميـذُ وهـزَّ رأْسَـه وهـو يعجبُ . . كيف تكـونُ أَحداثُ الـدُّنيا أَسئلةً في آمتحانٍ ، وكأنمـا قرأَ الشيخُ أَفكارَ تِلميذه فقال :

ـ تَختـلفُ أَسئلةُ الامـتحـانِ في الـدُّنيـا عن أَسئِلة الامتحـانِ في المَـدارسِ . . إن الغِنَى والفَقرَ أَسئِلةٌ يَمتحنُ الله بـهـا عِبـادَه ، والـصِّحـةَ والمَرضَ أَسئِلةٌ يَمتحنُ الله بها عِبادَه ، وكـذلكَ الحُـزنَ والسُّرورَ ، والـرِّضـا والغضبَ ، والإيمانَ والكفرَ . .

كلُّ ما يقعُ للإنسانِ . . كلُّ ما يمرُّ به الإنسانُ . . كلُّ أَحـداثِ حياتِـه ليست سِـوى أَسئلةٌ تكشفُ عن حقيقةِ جـوهرِه وأَصلِ مَعدنِه .

سـأَلَ التلميـذُ : كيف يكـونُ الغِنَى آمتِحاناً ويكونُ الفقرُ آمتِحاناً ؟

قالَ الشيخُ الحكيمُ : إن ثروةَ الغَنِيِّ هي أَسئلةُ آمتحـانِـه . . إذا شكـرَ الله علَيها وأَعطى منها وتصدَّق ، فقد آجتازَ آمتحـانَه ونجـحَ ، وإذا حـرِص عليهـا وبَخلَ بها فقد رسبَ . .

وفقرُ الفقيرِ هو آمتحانُـه . . إذا صبرَ على الفقـرِ وسـأَلَ الله جـازَ ، وإن لم يصبرْ هوَى . . هل فهمتَ ما أَقول ؟

قالَ التلميذُ : فهمتُ . .

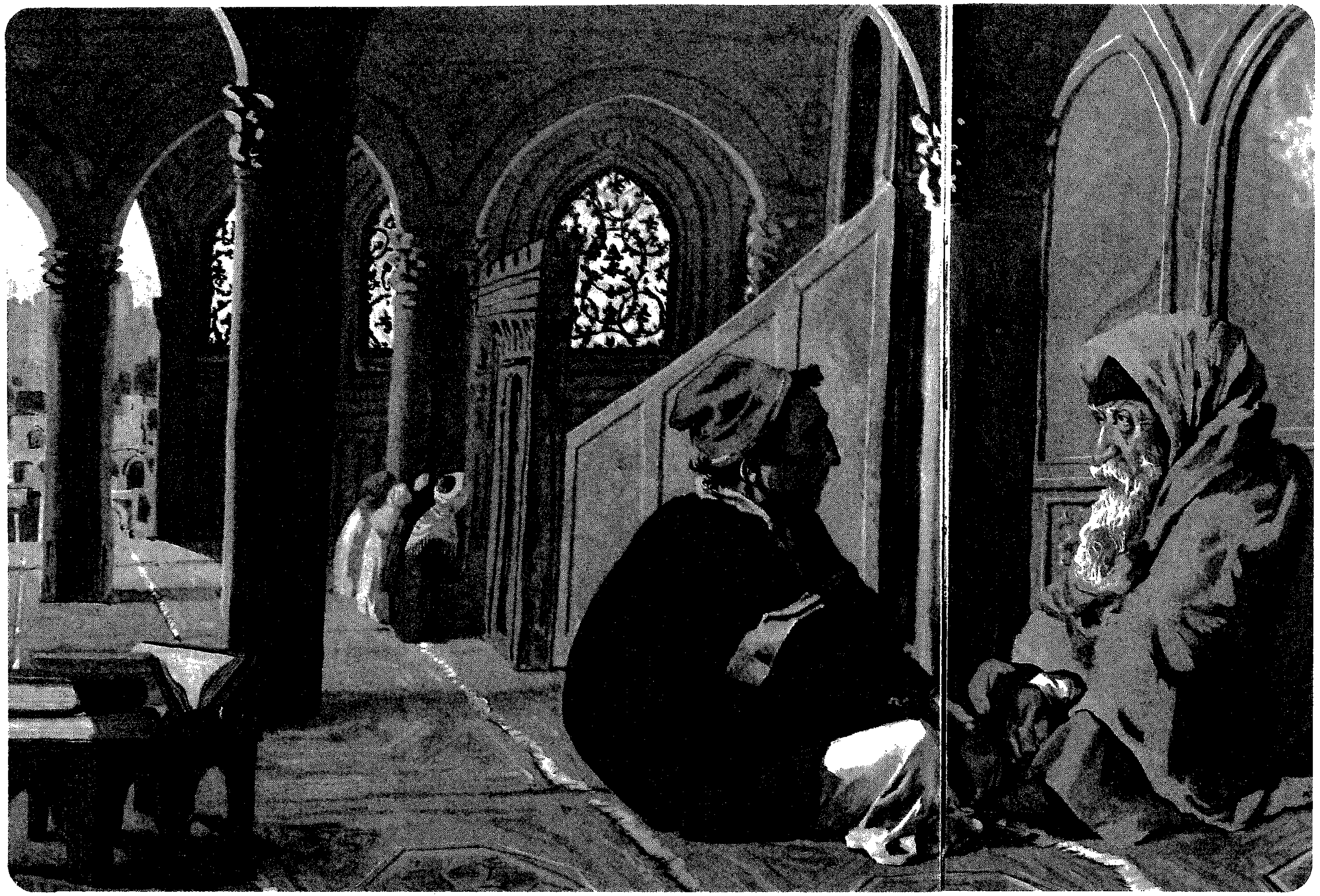

قالَ الشيخُ الحكيمُ : هل أَدُلُّكَ على سبيلٍ لاجتيازِ آمتحانِ الحياةِ ؟ إنه التَّسبيحُ . . إن تَسبيحَ الله تباركَ وتعالَى وآستغفارَه طريقٌ إلى الرِّزقِ كما أنه طريقٌ لاجتيازِ البَلاءِ . .

قالَ التلميذُ لأستاذِه : فهِمنا أنه طريقٌ لاجتيازِ البلاءِ . . كيف يكونُ طريقاً إلى الرزقِ ؟

قالَ الشيخُ الحكيمُ : ألم تَقرأْ قولَه تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** ﴾ ؟

آستمِعْ إلى قِصَّةِ أَصحابِ الجنةِ التي قصَّها علينا الحقُّ عزَّ وجلَّ في كتابِه . .

في قديمِ الزمانِ . . وسالفِ العصرِ والأوانِ . . عاشَ مَجموعةٌ من الإخوةِ الأغنياءِ . . كانوا يَملِكونَ حديقةً رائعةً تَمتلئُ بالزُّروعِ والثِّمارِ والفَواكهِ والأشجارِ والوُرودِ . .

وكانَ هؤلاءِ الإخوةُ مَشهورونَ بأنهم أَصحابُ الجنةِ . . سمَّى الناسُ حديقَتَهم بالجَنةِ من فرطِ جمالِها وخَصبِها . . وآقتربَ وقتُ الحَصادِ فخرجَ أصحابُ الجنةِ يتأمَّلونَ أنواعَ الفاكِهةِ والثِّمارِ ، وجمالَ الوُرودِ والزُّهورِ . . وأنواعَ الطيرِ والحيوانِ .

كان واضِحاً أن الجنةَ قد أثمرتْ بسخاءٍ عظيمٍ هذه السنةِ . .

آنتهَى الإخوةُ من طَوافِهم في الجنةِ . وعَادُوا إلى غُرفةِ طَعَامِهم وجَلسوا يأْكُلونَ . . أَمروا أَلَّا يَدخُلَ عليهم أَحدٌ . .

كان المَحصولُ وفيراً أَكثرَ من أيِّ وقتٍ مضى..وكانوا سُعداءَ وهم يأكلونَ . .

قَـال الأخ الأكبَـرُ : غَـداً نجمـعُ المَحصولَ .

قالَ الأخُ الأصغرُ:لقد صِرنا أغنياءَ . .

ووضـعَ الأخُ الأكبرُ من يـده قِـطعـةَ البطِّ التي كان يأكُلها وقال : لا نُريدُ أن نُعـطيَ الفُقراءَ شيئاً حتى لا ينقُص من مالِنا شيءٌ . .

قال الأخُ الأوسطُ : لكنّنا آعتـدنا أن نَتصدَّقَ كلَّ عامٍ بشيءٍ من الثمرِ والقمحِ . .

قـالَ الأخُ الأصغـرُ : لن يحـدُثَ هـذا . . يكفي مـا تَصـدَّقنـا بـه في الأعوامِ السابقةِ . .

قالَ الأخُ الأكبُر : أنا أتفقُ معك . . لقد صِرنا أغنياءَ ، ولا نُريدُ أن نُفرِّطَ في مالنا أو نخسرَ منه شيئاً . .

قالَ الأخُ الأوسطُ: لكن هذا حرامٌ .

ضحِـكَ الأخُ الأكبرُ هـازئاً وآشتـركَ معه الأخُ الأصغرُ في الضَّحـكِ . . قالا لأخيهِمـا : دَعنا من أفكـارِ الحـرامِ والحَـلالِ . . نحن الآنَ أغنيـاءَ . . لا شيءَ يهمّنا . .

قـالَ الأخُ الأوسطُ : سمعتُ شَيخـاً صَـالِحـاً في المسجـدِ يقـول : إن مَن تَصدَّق ببعضِ أموالِـه باركَ الله لـه فيما يبقَى . .

قـالَ الأخُ الأصغـرُ : مـاذا نفعـلُ بـالبرَكـةِ فيمـا يبقَى ؟ نحن نُـريدُ كـلَّ شيءٍ . .

قـال الأخُ الأكبـرُ : لقـد حصلتِ البركةُ وآنتَهى الأمرُ . . أَلم تَروا الجنةَ وأَشجارَها تَنحني من كثرةِ الثِّمارِ ؟

آتـفقَ الإخـوة أنـهـم لـن يُـعـطوا المسـاكينَ شيئاً هـذا العـامِ . . أمـروا

بإحضارِ رئيسِ الحرسِ وقالوا له : أَغلقْ أبوابَ الحَديقةِ جيداً من الآن . . ولا تَفتحوا غداً لأيّ طارقٍ . .

قالَ الحارسُ : ولكن غداً هو يومُ الحصادِ ، وقد آعتدتُم أن تُعطوا المَساكينَ الذين يَحضُرونَ من القُرى المُجاورَة . .

قالَ الأخُ الأكبرُ : لن نُعطي أحداً هذا العام . . أَغلقِ الأبوابَ ولا تَفتحْها لأيّ مِسكينٍ .

هل فهمتَ ؟

هزَّ الحارسُ رأْسَه بالإيجابِ وآنصرفَ عائِداً إلى مكانِه .

جاءَ الليلُ على الإخوةِ الثلاثةِ أَصحاب الجنةِ .

نامَ الأخُ الأكبرُ والأصغرُ وهما يَحلمُانِ بالذَّهبِ والجَواهِر والملابِس الجديدةِ والثراءِ .

كان قَرارُهُما بِمنعِ التَّصدُّقِ على الفُقراءِ يُسعدُهُما تَماماً . . أما الأخُ الأوسطُ فقد وافقَهُما مُضطرّاً ، وحاولَ هذا الأخُ أن ينامَ ولكنه ظلَّ قَلِقاً لا يَحسُّ رغبةً في النومِ . . كان يَحسُّ بالألمِ لِموقفِ أَخوَيْهِ من الفُقراءِ ، وكان يَحسُّ أنه سكتَ على ظُلمِ أَخويهِ فصارَ ظالِماً هو الآخر . .

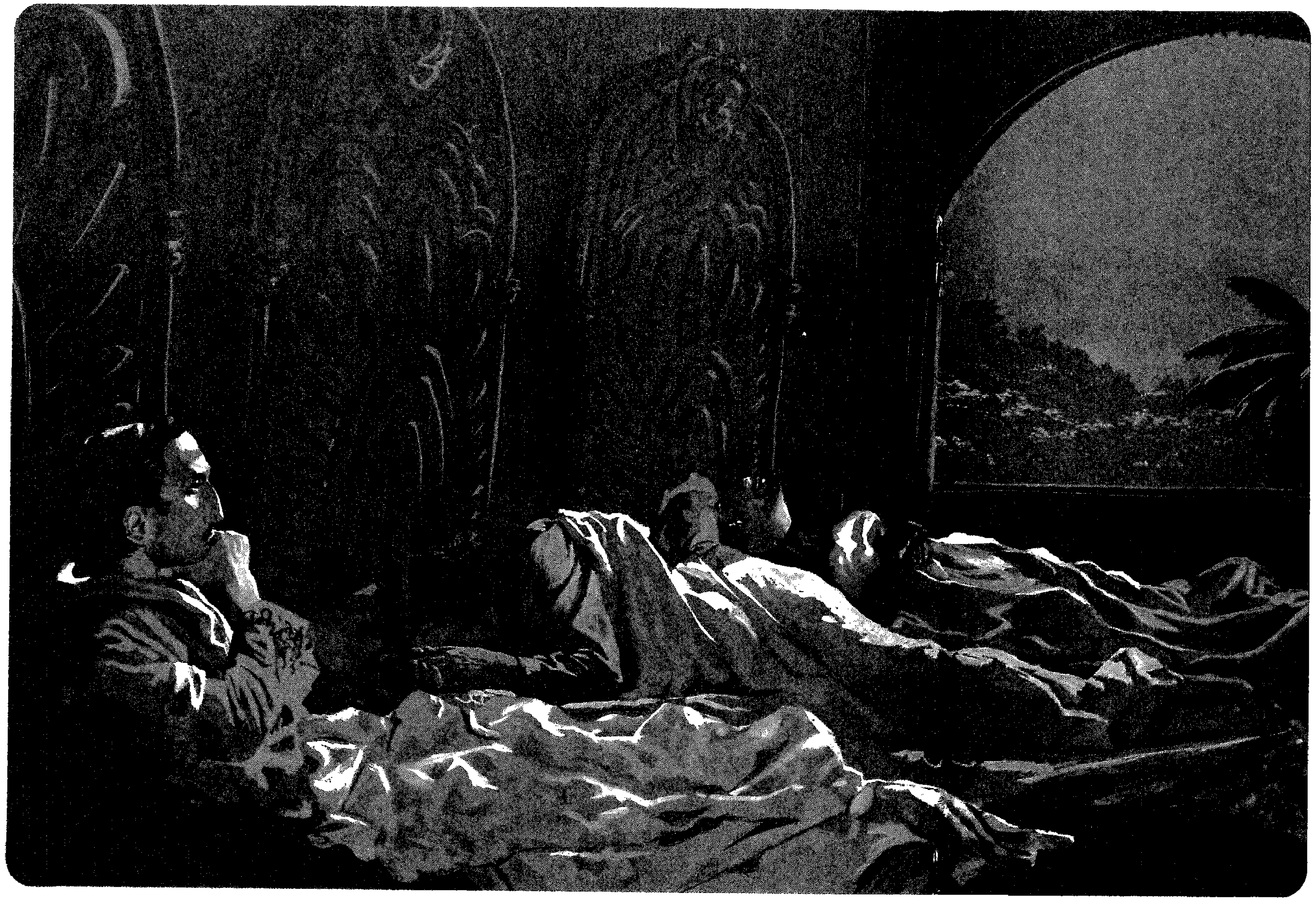

أَخيراً أَدركَه النُّعاسُ فأَغمضَ عينَيهِ ونامَ . .

نامَ أَصحابُ الجنةِ . . ونامَ الحارسُ ونامتِ الطيورُ والأشجارُ وهجعَ كلُّ شيءٍ . .

لكنَّ الله سبحانَه لا تُدرِكُه سنةٌ ولا نومٌ . . أمر الله تعالَى واحِداً من جُنودِه أن يُدمِّرَ الجنةَ . .

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَـائِفٌ مِّن رَّبِّـكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ .

لا أحـدَ يـدري مـن هـو هـذا الطائفُ . . لا أحدَ رآه أو سمِعَه أو تنبَّه إليه أو أحسَّ به أو شعرَ بِوُجودِه . . كان هذا الطَّائفُ جُنديّاً من جنـودِ الله ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ . .

كـان هذا الـطائفُ الخفيُّ الغـامِضُ يمرُّ بالأشجارِ المُثمِرةِ فَتذوي وتموتُ ، كان يُشيرُ إلى الثمارِ فَتسقُطُ دون صوتٍ وتَتعطَّنُ قبل أن تمسَّ الأرضَ . .

كـان لا يمسُّ بيـدِهِ شجـرةً أو يُشيـرُ لجـزءٍ من الجنـةِ حتى يمـوتَ الـزرعُ وتفسـدَ الثمـارُ ويَسقط كـلُّ شيءٍ على الأرضِ دون صـوتٍ . ظـل الـطائفُ يـطوفُ بالجنـةِ فلم يتـركْ فيهـا شجـرةً قـائمةً أو نبـاتـاً حيـاً أو طيـراً أو ثمـرةً أو حيواناً أو زهرةً .

مـات كـلُّ شيءٍ وذبـلَ كـلُّ شيءٍ

وهلكَ كـل شيءٍ وأصبحـتِ الجنـةُ كالصَّريمِ . . صارتْ خَراباً . .

وآختفَى الـطائفُ فجـأةً كمـا ظهـرَ فجأةً . .

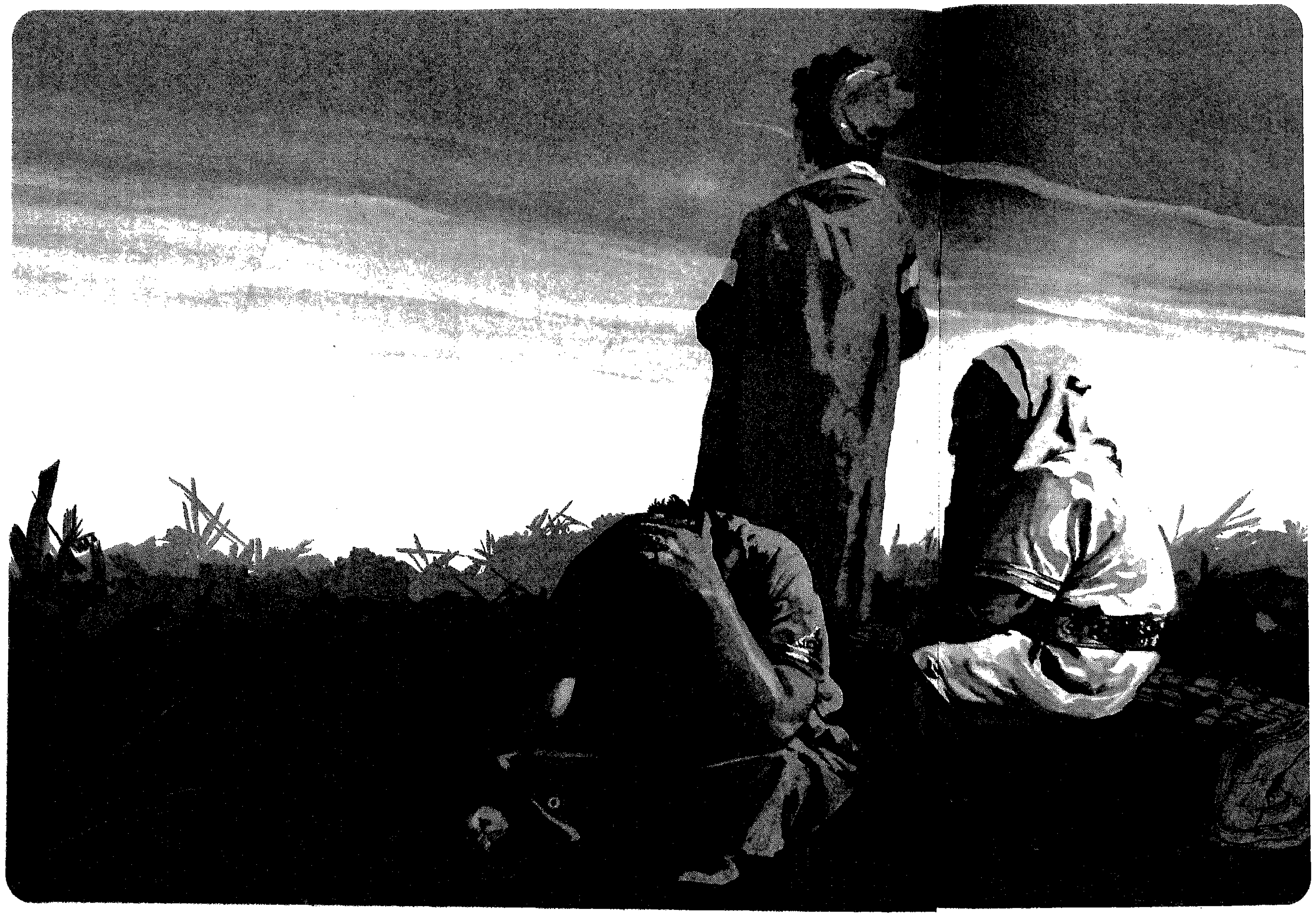

ومـرتْ سـاعـاتٌ وجـاءَ الصبـاحُ فآستيقظَ الإخوةُ .

كـانـوا سُعـداءَ بـآستِثنـاءِ الأخِ الأوسطِ . . كـانت عيناهُ مُنتفِختينِ من قلَّةِ النومِ . . وكـان وجهُـه شـاحِبـاً مُمتقِعاً . .

أفـطر الإخـوةُ وتَهيَّؤوا للخُـروجِ لجمعِ المحصولِ . .

انطلقوا وهم يتحدَّثونَ بصوتٍ خافتٍ : لن يدخُلَ علينا اليومَ مِسكينٌ . . سيبقى لنا كلُّ شيءٍ . . ولن نتصدَّقَ بشيءٍ . . كانت فِكرةُ الثراءِ تَملؤُهم بالسعادةِ . . كان امتحانُهم كأغنياءَ قد انتهى . . وبقي تَصحيحُ أوراقِ الإجابةِ .

خَرجوا إلى الجنةِ لجمعِ المَحصولِ فَفُوجئوا بما حدثَ . . لم يكن هناكَ مَحصولٌ ولا ثمرٌ ولا فواكهَ ولا زهورٌ ولا قمحٌ ولا طيورٌ . . لم يكن هناكَ غيرِ هذه الأخشابِ الميتةِ والعَطَنِ المُتعفِّنِ والخَرابِ الشاملِ . .

صرخوا بالدَّهشةِ والويلِ . . ضربوا كفّاً على كفٍّ . .

ماذا حدثَ . . ؟

وكيف حدثَ ما حدثَ ؟

كانت الجنةُ بالأمسِ جنةً فكيف تَهلكُ في ليلةٍ واحدةٍ ؟

صرخَ الأخُ الأكبرُ وهو يَفركُ عينيهِ ولا يُصدِّقُ ما يراهُ : ليست هذه جنّتُنا . . لقد ضَللنا الطريقَ إليها . .

قالَ الأخُ الأصغرُ : هذه جنَّتُنا وقد هَلكتْ . . انتهى الأمرُ .

قالَ الأخُ الأكبرُ وهو يعولُ ويَصرخُ : نحن مَحرومونَ إذن . . ولم نَضلِ الطَّريقَ .

قالَ الأخُ الأوسطُ : ﴿ **أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ** ﴾ . .

﴿ **قَالُوا : سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ** ﴾ . .

اعترفَ الإخوةُ بِخَطئِهم بعد أن أدركوا ما حدثَ . .

وبدأَ كلُّ واحدٍ يُلقي اللَّومَ على الآخر.

قال الأخُ الأكبرُ للأخِ الأصغرِ : لقد ضِعنا بِسبَبِكَ . .

وقالَ الأصغرُ للأكبرِ : كان الاقتراحُ آقتـراحَـك أنت . . لقـد رَفَضتَ أن تُعطيَ المساكينَ . .

ومضى الجِدالُ بين الإخوةِ فراحَ كلُّ واحـدٍ يُلقي اللومَ على الثاني ، حتى تحوَّلَ الجدلُ إلى خصامٍ . . وتحدَّثَ الأخُ الأوسطُ الـذي نَصحَهم قبل ذلك بالتَّسبيحِ .

قـالَ لهم : لقد قـادَنـا الجِـدالُ إلى الخِصـامِ . . وهـذا مـا كنتُ أَخشاهُ وأحسبُ حِسابَه . . لقد آشترَكنا جَميعاً في جريمةٍ واحدةٍ ، إن أَحدَنـا قد فكَّـر في الجريمةِ ، ولكننا جَميعاً قد آشترَكْنا فيهـا ، سـواءٌ بـالمَـواقِفِ أو بعـدمِ الاعتراضِ الجَدِّي . . دعونا الآن مما حـدثَ ، ولِنَتـأمَّـل الـدرسَ فيمـا حدثَ . .

لـمـاذا عـاقَبـنـا الله تـعـالـى بالحِرمانِ . . ؟

قـالَ الأخُ الأكبرُ : كـان طُغيانُنـا هو السَّبب .

قالَ الأخُ الأصغرُ : نعم . . لِنعترفَ بذلك .

قـالَ الأخُ الأوسطُ : لقـد قـرَّرنـا حِرمانَ المساكينِ من الصدقةِ . . كانت هذه جَريمتَنا الأُولى ، ولكنها نَبعتْ من جريمةٍ ثانيةٍ أَشـد . . لقد كُنـا نَعتقدُ أن العطاءَ من المالِ يُنقصُ المـالَ . . لقد كُنّـا بُخلاءَ . . وآكتشفنـا أن البُخلَ هـو الذي يُضيِّعُ المالَ لا الصدقةَ . .

قالَ الأخوانِ الأكبرُ والأصغرُ : لقـد ظَلمنـا أنفُسَنـا بـالبُخـلِ . . وظَلمنـا المَساكينَ بالحِرمانِ . .

قـال الأخُ الأوسطُ : وبسببِ هـذا الظُّلمِ حَرَمنا الله تعالَى من كلِّ شيءٍ .

قالَ الأخُ الأكبرُ: ما هو الحلُّ الآن ؟

قـالَ الأخُ الأوسطُ : التَّوبـةُ . . هي الحلُّ الآن . .

تساءَلَ الأخُ الأصغرُ : كيف ؟

قـال الأخُ الأوسطُ : نَرجعُ إلى الله بالاعتذارِ . . والنَّـدمِ . . نَستغفِرُه من ذَنبِ الاعتقـادِ بـأن العَـطاءَ من المـالِ يُنقصُ الـمـالَ . . ونتـوبُ إليـه من خَطيئتِنا وبُخلِنا . .

سأَلَ الأخُ الأكبرُ : هـل تظنُّ أن الله يَقبلُ تَوبتَنا ؟

قـالَ الأخُ الأوسطُ : إن الله تعـالَى وعدَ بِقبولِ التوبةِ إذا كانت صادقةً . .

قالَ الأخُ الأصغرُ : إن جَريمتَنا أكبرُ من أَن يَغفِرَها الله لنا .

قال الأخُ الأوسطُ : هذا ذنبٌ جديدٌ تَرتكِبهُ . . أن تعتقـدَ أَن جَريمَتـكَ أكبرُ من عفوِ الله أو غُفرانِه . . إن رحمةَ الله وَسعتْ كلَّ شيءٍ . .

وآستمرَّ حوارُ الإخوةِ حتى عَرفوا أن مـا وقَع لهم كـان جُـزءاً من عـذابِ الدُّنيا ، وأدركوا أن عذابَ الآخـرةِ أكبرُ وأشـدُّ ، ومن ثم فقـد تـابـوا إلى الله وآستغفَروه وسبَّحوهُ . .

وتـابَ الله عليهم فعادتْ جَنَّتُهم إلى الحياةِ وعادتْ ثِمارُها تَزدهِرُ . .

وكـان يومُ حصـادِ المَحصولِ عيـداً لِكُلِّ الفُقراءِ والمساكينِ في المنطقـةِ ، فقـد كان أَصحـابُ الجنـةِ يُكـرِمـونَهم ويُعـطونَهم نصفَ محصـولِ الجنـةِ ، وكـان الله يبـاركُ لهم فيمـا آتـاهُم ويَزيدُهم من فضلِه .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝
وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۝ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ
۝ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ۝ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ۝ أَنِ
ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ۝ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ
يَتَخَٰفَتُونَ ۝ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ۝ وَغَدَوْا۟
عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ۝ بَلْ
نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ
۝ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ۝ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ۝ عَسَىٰ رَبُّنَآ
أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ

صدق الله العظيم

قصص القرآن

أصحاب الأخدود

قلم: أحمد بهجت

ريشة: مصطفى حسين

دار الشروق

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
الطبعة الثانية
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م
الطبعة الثالثة
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م
الطبعة الرابعة
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى -
رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكترونى: email: dar@shorouk.com

قصص القرآن

أصحاب الأخدود

قلم: أحمد بهجت
ريشة: مصطفى حسين

دار الشروق

الفـارسُ مثـل سهمٍ مـن البرقِ .

راحَ يلهبُ ظهرَ حِصانِـه بـالسَّـوطِ ليَستحثّه على الجَري ، وكان الحصانُ يَجري بأقصى طاقَتِه ، وآنحـدَر العرقُ على جسدِ الحِصانِ فَبلَّله ، ورغم ذلك فقد ظلّ يَجري في طريقـهِ بين الجِبالِ والسُّهولِ ، مُستجيباً لأمرِ صاحِبِه . .

كـان واضِحـاً أن الفـارسَ الـذي يَضـربُ حِصانَـه يَحمِلُ سِـراً خَطيـراً لا يَحتمِلُ التأجيلَ . .

بعد رِحلةٍ شاقَّـةٍ وصلَ الفـارسُ إلى أَسـوارِ المـدينـةِ . . وكـانت الشمسُ تَنحـدِرُ نحو الغُـروبِ ، وآنتشَـر اللونُ الورديُّ الأحمرُ في السحـابِ وآنعكسَ على وجوهِ السّائرينَ في الطُّرُقاتِ .

ولم يُقلِّلِ الفـارسُ من سُرعتـهِ حين وصـلَ إلى طُرقـاتِ المـدينـةِ ، وأَفـزعَ النـاسَ في السـوقِ بسببِ آنـدِفـاعِـه ، وأَوقـعَ الحِصـانُ في طـريقـهِ بعضَ أَقفـاصِ الفاكهـةِ لبائـعٍ في السُّوقِ ، وصَرخَ البائـعُ حَزيناً على فاكِهتِـه التي

تَحطَّمتْ تحت أقدامِ الحِصانِ . .

ورغمَ ذلك فقد مَضى الفـارسُ يَشُقُّ طـريقَه بنفسِ سُـرعتِه حتى وصـلَ إلى قصرِ الملكِ .

آستوقَفَه الحـرسُ على بابِ القصـرِ فأخرجَ لهم خِطاباً من جيبِهِ وقال بِلهجةٍ آمِرَةٍ :

ـ معي خِطابٌ للمَلكِ . .

أَذِنـوا لـه في الـدُّخـولِ ، فـدخـلَ الحـديقةَ وتـرجَّلَ عن حِصـانِه وآنـدفعَ مُسرعاً حتى وصلَ إلى قاعةِ الانتِظارِ في قَصرِ الملكِ .

قابَلَه مُديرُ القَصرِ وسأَلَه ماذا يُريدُ .

قـالَ الفـارسُ : أُريـدُ رُؤيَـةَ الملكِ على الفورِ .

قالَ مُديرُ القصرِ : لكنّك تَبدو مُرهَقاً من رِحلتِـكَ ، ولعَلَّكَ لم تـأْكُـل منـذ الصباحِ ، كما أن المَلكَ في آجتمـاعٍ هامٍ ولا أَستطيعُ إِزعاجَه الآنَ ـ لماذا لاَ تَنتظِر ؟

قـال الفارسُ مُكشِّراً وقد بـدا عليـه الغضبُ : ليس مُهمّـاً أن أَستـريـحَ أو آكُـلَ ، إن الرِّسـالـةَ التي أَحمِلُهـا لا تَستـطيـعُ الانتـظارَ . يجبُ أَن أرى الملكَ على الفـورِ . . قُـلْ للمَلكِ إن رَسـولاً من نجرانَ يحمـلُ أخباراً هـامةً ويُريدُ أن يراكَ .

ذهـب مُديرُ القصـرِ إلى الملكِ وعادَ بعد ثوانٍ قليلةٍ إلى الفـارسِ وهو يقـولُ له : يَنتظِرُكَ الملكُ في قـاعةِ العـرشِ الآنَ . . تَفضّل معي . .

سارَ مديرُ القصرِ وسـار الفارسُ معـه حتى وصـلا إلى قاعـةِ العرشِ فتـأَخَّـر مديرُ القصرِ ودخلَ الفارسُ .

آنحنَى الفـارسُ للملِكِ وأَخـرجَ من جَيبِهِ رِسالةً قدَّمَها إليه وهـو صامتٌ . .

فتـحَ الملكُ الـرِّسـالـةَ وقـرأَهـا فَتغيـرَ وَجهُـه . . ظهـرتْ عليـهِ عَـلامـاتُ الغضبِ ، مـزَّقَ الرسالـةَ وأَلقـاها على الأرضِ . . نهضَ من كُـرسيِّ العرشِ وآتجـهَ نَحو الفـارسِ وقال لـه : هـذه أَخبـارٌ سيئـةٌ . . حـدِّثْني عنـهـا بالتَّفصيلِ .

قال الفارسُ : دخلَ الدينُ الجـديدُ

إلى نجرانَ .

قـال الملكُ : كيفَ يَـدخُـل الـدينُ الجـديـدُ بغيــر إذنٍ مني ؟ هـذا غــزوٌ لِنَجـرانَ . . أكملْ حَـديثَـكَ ، من هـو صاحبُ هذا الدّينِ الجديدِ ؟

قـال الفارسُ : يقـولونَ إن صـاحبَه نبيٌّ يُسمُّونَه عيسَى المَسيح . .

سأَله الملكُ . . ما الذي يَدعو إليـه الدينُ الجديدُ ؟

قـال الـفـارسُ : يَـدعـو إلـى الإيمانِ بالله وتَوحيدِه .

قـال الملكُ : من الـذي دخـلَ في الدينِ الجَديدِ ؟

أَجابَ الفارسُ : دخلَ الوَثنيُّـونَ في الدينِ الجديدِ وآمنوا بـالله ، ودخلَ فيـه بعضُ اليهودِ وآمنوا بـالله ، وهناكَ فِتنةٌ بين اليهودِ .

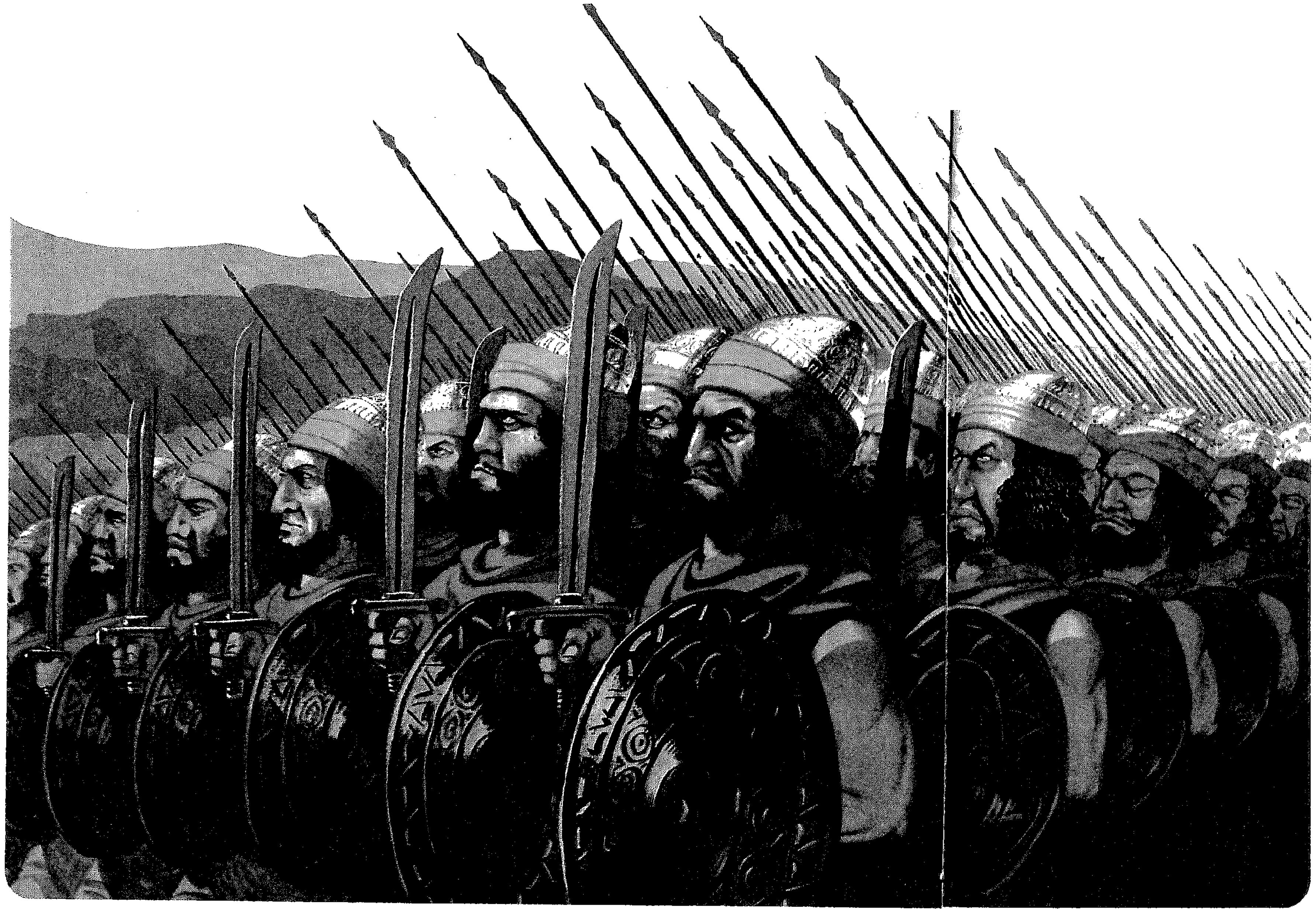

سـأَلَ الملكُ أَخيـراً ، وهــو يَحني رأْسَه ويُفكِّر : حـدِّثني كيف دخلَ هـذا الدينُ الجديـدُ إلى نَجرانَ . . حـدِّثني عن المسؤولِ عن تَسلُّلِه .

قال الفارسُ : تسلّلَ هذا الدينُ عن طريقِ غُلامٍ مُؤمنٍ وجدَه سادتُه الوثنيُّونَ لا يُصلِّي للنَّخلةِ التي يَعبُدونَها . .

سَألوهُ : لمن تُصلِّي إذن ؟

قال الصبيُّ المُؤمنُ : أُصلي لله . . خالق النخلِ وخالق كُلِّ شيءٍ .

قال الـوثنيـونَ (الـذينَ يَعبُـدونَ غيـرَ الله) : لكنَّ هـذه النخلةَ تَنفعُنـا وتَمنعُ عنا السوءَ .

ضحـكَ الصبيُّ سـاخِـراً وقـال : لا تُصدِّقوا ذلك . . النخلةُ لا تَستطيـعُ أن تنفـعَ أو تضرَّ بـل إنها لا تستـطِيـعُ دفـعَ

السوءِ عن نَفسِها . . لو صلَّيتَ لله لكيْ تَحتـرقَ النخلةُ فـآحتـرقتْ . . هـل تَتَّبِعونَ دينَ المسيحِ وتُؤمنونَ بالله ؟

قالوا : نعم . .

وجـاءَ الليـلُ على الـصبيِّ وهـو يُصلِّي . . كـان يُصلِّي ويَـدعـو . . وتَجمَّعتْ في السمـاءِ سُحبٌ كثيفـةٌ وآشتدَّتْ حركةُ الرِّياحِ . وآكفهرَّ الجوُّ وتغيَّرَ . . وبَرقَ البَرقُ وآرتجَّتِ الأرضُ بصوتِ الرّعـدِ . . وهَوتْ صـاعِقةٌ من السماءِ على النَّخلةِ فآحترقَتْ ، وشاهدَ الناسُ جَميعاً مَعبودَهُم وهو يَحتـرقُ ولا يَستـطيـعُ أن يـدفـعَ عن نفسِـه النـارَ أو يُطفِىءَ الحريقَ .

ودَخلوا في الإيمانِ بالله . .

آستمَـع الملكُ صامِتـاً عـابِسـاً لِمَـا يَقـولُـه الفـارسُ . . آنتهَى من كـلامِـه فَصـرفَهُ . . لَم يكـدِ الفـارسُ يَنصـرِفُ حتى أمَـرَ الملكُ أن يَجتمِـعَ مجلسُ الوُزراءِ وقادةُ الجيشِ . .

آجتمَـعَ الجميـعُ وجَلسـوا صـامِتينَ وتحدَّثَ الملكُ .

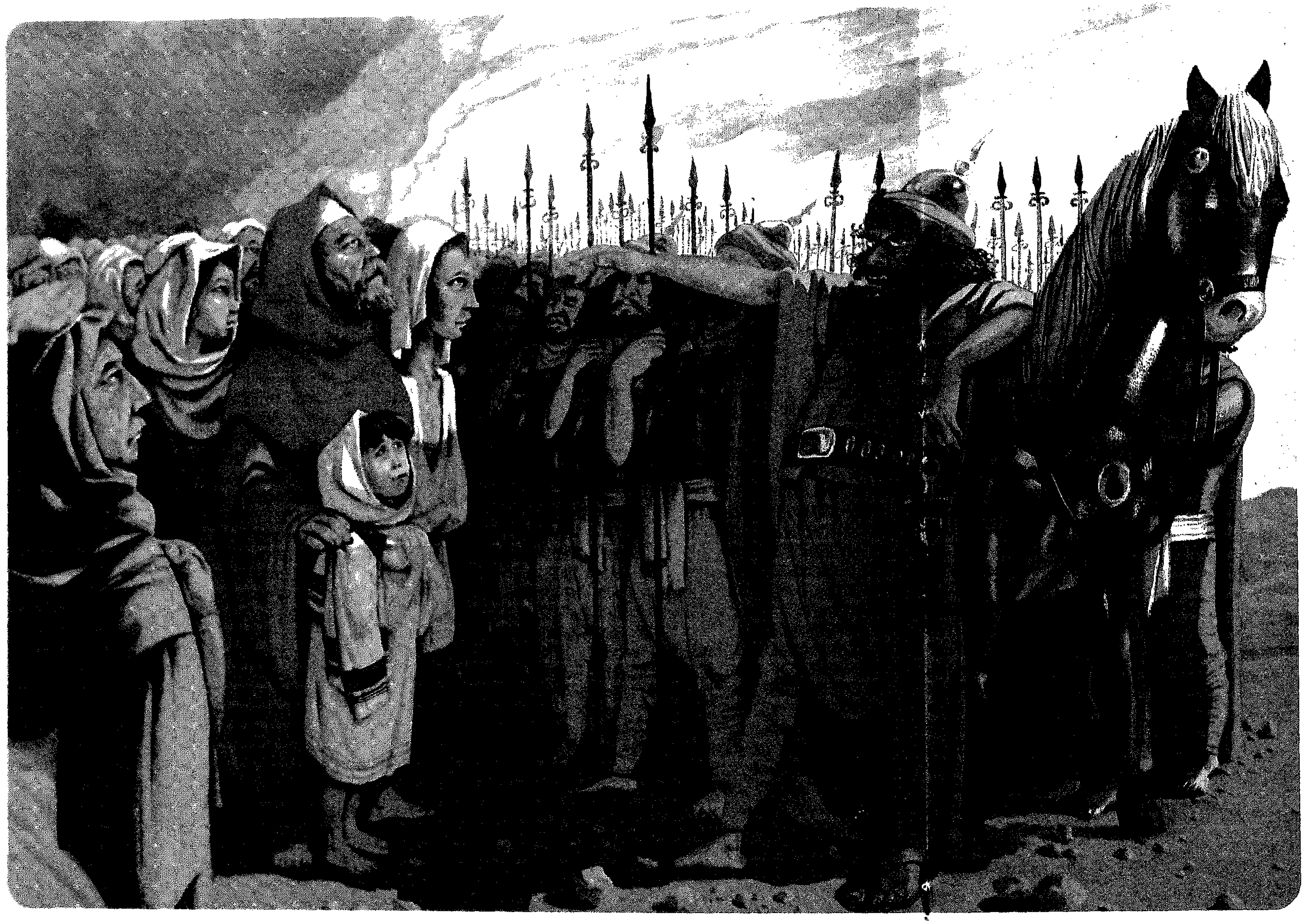

قـال : أُريـدُ أن يستعِـدَّ الجيشُ لِلحـربِ . . سنُهاجِمُ نَجرانَ . . لقـد آمنَ الناسُ فيها بدينٍ غيرِ ديننا . . آمنوا بـإلهٍ واحـدٍ بشَّر بـه نبيٌّ جـديـدٌ آسمُـه المسيـحُ . . يجب أن نُؤدِّبَ الـذيـن هَجروا دِينَنا . .

وسوفَ يكونُ تأديبُهم حاسِماً . .

آنفضَّ الاجتِمـاعُ وآنصـرفَ كـل واحـدٍ إلى عملِه . . ودخـلَ الملكُ غُرفتَه وراحَ يشربُ الخمرَ . .

كان الملكُ يَهودِياً قَسا قلبُه وخَلا من الإيمانِ والرَّحمـةِ ، كان يَهـودِياً آبتعدَ

عن تعاليمِ موسَى إلى شيءٍ يُشبِهُ الوَثنيةَ . . ولو أنه كان يَهودياً يُؤمنُ بالله لَما كرِهَ أن يكونَ هناكَ مَسيحيُّونَ يُؤمنونَ بالله . .

بعد أيامٍ تحرّكَ الجيشُ . .

كانت خُطَّةُ الملكِ أن يُحاصِرَ المدينةَ حتى يَستسلِمَ أهلُها ، ثم يَضعُهُم أمامَ أمرٍ من آثنينِ .

إما أن يَعودوا إلى دِيانتِه بكلِّ ما تَنطوي عليه من شَوائبَ وَثنيةٍ . . أو يَقتلُهم بنارِ الحريقِ . .

كان قرارُه الظالمُ يعني تَخييرَ المُؤمنينَ بين الإيمانِ والموتِ حَرقاً أو الكُفرِ والنَّجاةِ . . وكان معنَى تَخييرِه أنه يُخيِّرُ المُؤمنينَ بين الموتِ حَرقاً في الدُّنيا ، والنَّجاةِ من حريقِ الآخرةِ ، أو النَّجاةِ في الدُّنيا والهلاكِ في حريقِ الآخرةِ . .

وكان الملكُ يظنُّ أنه سَيُخيفُ المؤمنينَ بِتهديدِه وجَيشِهِ . .

وصلَ الملكُ إلى نجرانَ وحاصَرها بجيشِهِ الهائلِ ، وقاتلَ أهلَها بشجاعةٍ ، ولكنَّهم كانوا عَدداً قَليلاً يفتقرُ إلى المُعداتِ والسّلاحِ ، وآنهزموا ، فدخلَ الملكُ المدينةَ وأَحضَرَ المُؤمنينَ وأوقفَهُم أمامَه وهم مُكبَّلونَ في السَّلاسِلِ والقُيودِ وقال :

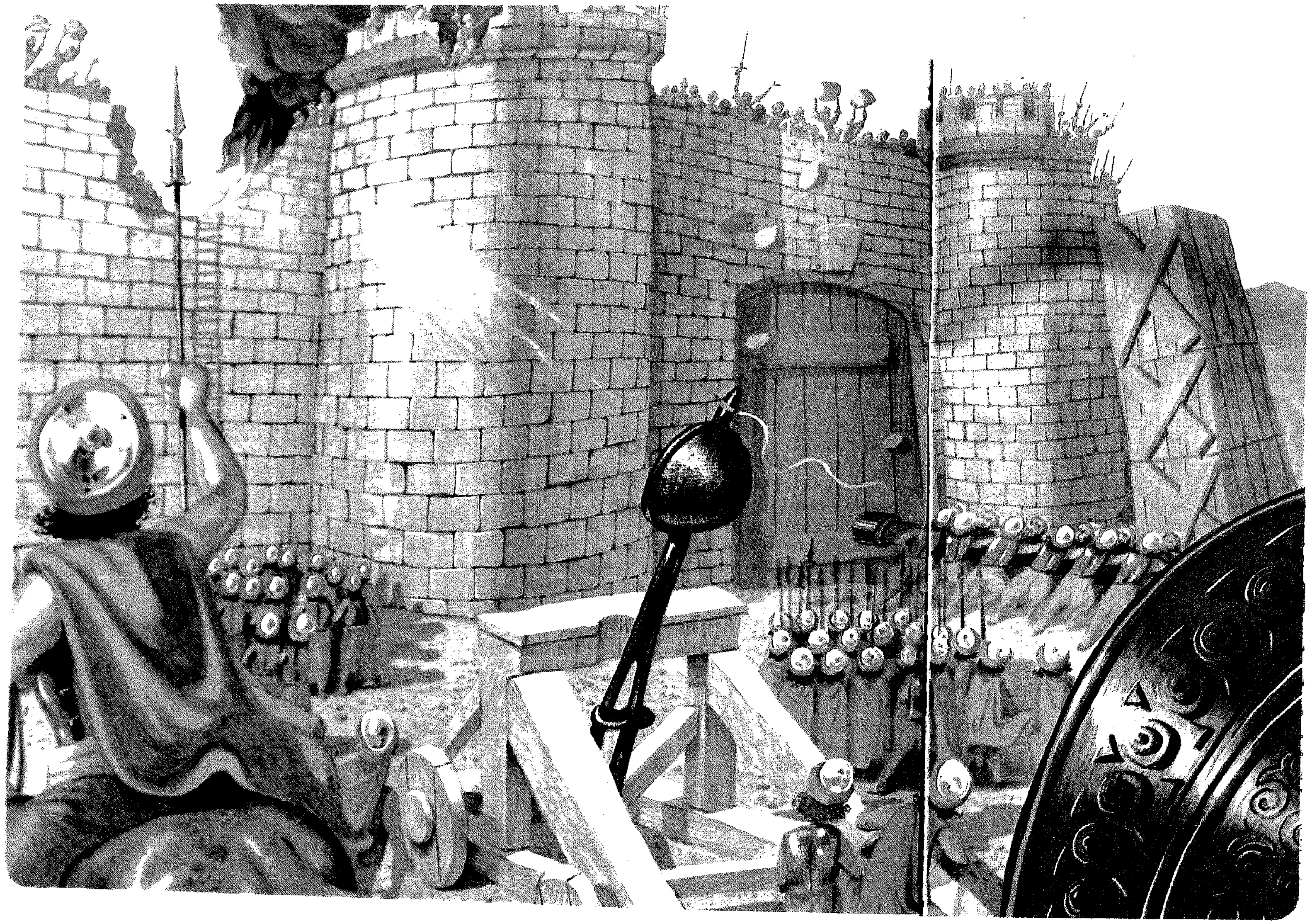

عُودوا إلى دينِنا وإلا قَتلتُكُم جَميعاً . . وتكلَّمَ الغُلامُ المؤمنُ . .

قال : نحن نَدعوكَ إلى الإيمانِ بالله أيها الملكُ .

قال الملكُ : سأَحرِقُكُم بالنارِ بعد صلبِكُم إذا لم تَعودوا إلى دِيانتِكُم السابِقةِ . . أنتم مُتَّهمونَ بالخيانةِ العُظمَى . . إن آختيارَ دينٍ آخر

غيـر دينِنـا يـعني الخِيانةُ . . وهي خِيانةٌ سوفَ تَدفعونَ ثَمنها عَذاباً هائِلاً .

قال الغُلامُ المؤمنُ : لن نَخـرجَ من الإيمانِ بالله مهما تَعذَّبنا .

أَمـر الملكُ جُنودَه بحفـرِ أُخـدودٍ هـائـلٍ في الأرضِ . . تَـمَّ حـفـرُ الأُخـدودِ . . فـأَمـرَ الملكُ أن يَمـلأوا الأُخـدودَ بـالـحـطـبِ الـجـافّ . . مَلأوهُ . . أَمر الملكُ أن يُبلِّلوا الحـطبَ بالزيتِ فَفعلوا . . أَمر بعد ذلـك بتقييدِ المُؤمنينَ وراحَ يَضـعُـهـم في الأُخـدودِ واحـداً بعـد الآخـر . . حتى آمتـلأَ الأُخدودُ بالمؤمنينَ . .

قال الملكُ الوثنيُّ لِلمؤمنينَ :

أَمامَكُم فُـرصـةٌ أخيرةٌ لِلعـودةِ في دينِنا . . إذا رَفضتُم أَمرتُ بإشعالِ النارِ في الحطبِ . . ماذا تَقولون ؟

لم يقُلِ المُؤمنونَ شَيئاً . . كان حفرُ الأُخدودِ بمثابَـةِ طَعنـةِ خـوفٍ نـافـذةٍ مُوجَّهةٍ نحو القلبِ . .

وطِـوالَ الفترةِ التي آستغـرقَها حفرُ الأُخـدودِ كانت الشّـائعـاتُ تَتـطايـرُ ، وكان مُجرّدُ آشتغالِ الجُنودِ في الحفـرِ عَمـلاً مُـرهِباً بحَقّ . كـانت النـاسُ لا تسأَلُ أبداً .

— لماذا يَحفِرُ الجنودُ هذا الأُخـدودَ العظيمَ ؟

كان السؤالُ مُمتنِعاً وكـانت الإجابةُ مَعروفةً . .

هنا سوف يُحرَقُ المُؤمنونَ أَحياءً .

ما هو ذَنبُهم لِيُحرَقوا أَحيـاءً ؟ ما هي الجَريمةُ التي آرتكَبـوها لِيقَـع لهم هذا العِقابُ الأليم ؟

إنهم يُؤمنونَ بالله . . هـذا هـو كـلُّ ذَنبِهم . . وهذه هي كلُّ جَريمتِهم . .

كان هذا كلُّه مَعروفاً . . وكـان حَفرُ الأخـدودِ هـو الـرمزَ النِّهـائيَّ لِلظلمِ والطُّغيانِ . .

كانت كلُّ فـأسٍ تَرتفـعُ لِتهوي على الأرضِ تَـرفـعُ معهـا هـذه الفِكـرةَ الظَّالمةَ .

فـكـرةُ طُـغـيـانِ الـطُّغـاةِ عـلى المُؤمنينَ . .

سكتَ المُؤمِنونَ ولم يَقولوا شَيئاً . .

رنَّ في أَذهـانِهم تَهـديـدُ الـملكِ الوثنيِّ الظَّالمِ ، كان يُهدِّدُهم بالحَريقِ إذا لم يَعـودوا في مِلَّتِه الكـافِرة . . وآختـارَ المُؤمنونَ الحـريقَ . . آختاروا الشَّهادةَ في سبيلِ الله . .

وفهِم الملكُ آختيارَهُم فأمرَ بإشعالِ النارِ في الأُخدودِ . .

أَصبـحَ الـمُـؤمـنـونَ الآن وسطَ الأُخـدودِ ، وقـد قُيِّـدوا في الحبـالِ وَسلاسل الحديدِ . .

وآشـتعـلت الـنـارُ وسطَ الأُخـدودِ وراحتْ تَتـنقَّـلُ إلى أَطـرافِـه حتى آشتعلتْ فيه كلّه . .

وَوقفتِ القُوةُ الكافـرةُ تَشهدُ عـذابَ المُؤمنينَ . . حين بـدأَت النارُ تَشتعـلُ في المؤمنينَ وقـعت أُمـورٌ كـثيـرةٌ ، تصـايحَ الكـافِـرونَ وهلَّلوا ، وسـادَ المُؤمنينَ سـلامٌ قلبيٌّ عجيبٌ . . أَكلتِ النـارُ مَلابِسَهُم وأَكلتْ جُلودَهُم ومضتْ تَحـرِقُ أَجسـادَهُم ، ولكنّهم آحتَملوا العَـذابَ في صمتٍ ورضا . . وتَحـوَّلَ كـلُّ مؤمنٍ مـن المُـؤمنيـنَ إلـى شُعـلةٍ مُحترِقةٍ تُضيءُ وسطَ ظلامِ الحياةِ . .

آنصرفَ الملكُ من أَمام الأُخدودِ بعد أَن تأكَّد أن المُؤمنينَ قد آحترَقُوا . .
كان صَدرُه يَغلي بالحِقدِ عليهم . . ولم يكنْ يَنقُم منهم إلا إيمانهم بالله العزيزِ الحميدِ . . كان الملكُ سَعيداً لأنه دمَّرهُم ، وآعتبرَ أنه آنتصرَ لِكبريائِه وآلِهتِه وأَرضاها . .
ومرت أَيامٌ قليلةٌ ، وسقطَ الملكُ مَريضاً لغير سببٍ واضحٍ . . زارهُ الأطباءُ من جميعِ أَنحاءِ المملكةِ لِعلاجِه ، وفَشلوا في عِلاجِه ، وآستدعَى أَطباءُ المَمالِك المُجاورة ، فلم يَعرِفوا سرَّ مرضِه ، وفَشلُوا في عِلاجِه ، وقُدِّمتِ القرابينُ للآلِهةِ الوثنيةِ ، وراحَ الكهنةُ يَسألُونَ هذه الأوثانَ شِفاءَ الملكِ ، كان الملكُ يَتعذَّبُ عَذاباً هائِلاً . . لم يكن يَستطيعُ أَن ينامَ من فرطِ الآلامِ التي يَحسُّها في جسدِه كلِّه . .

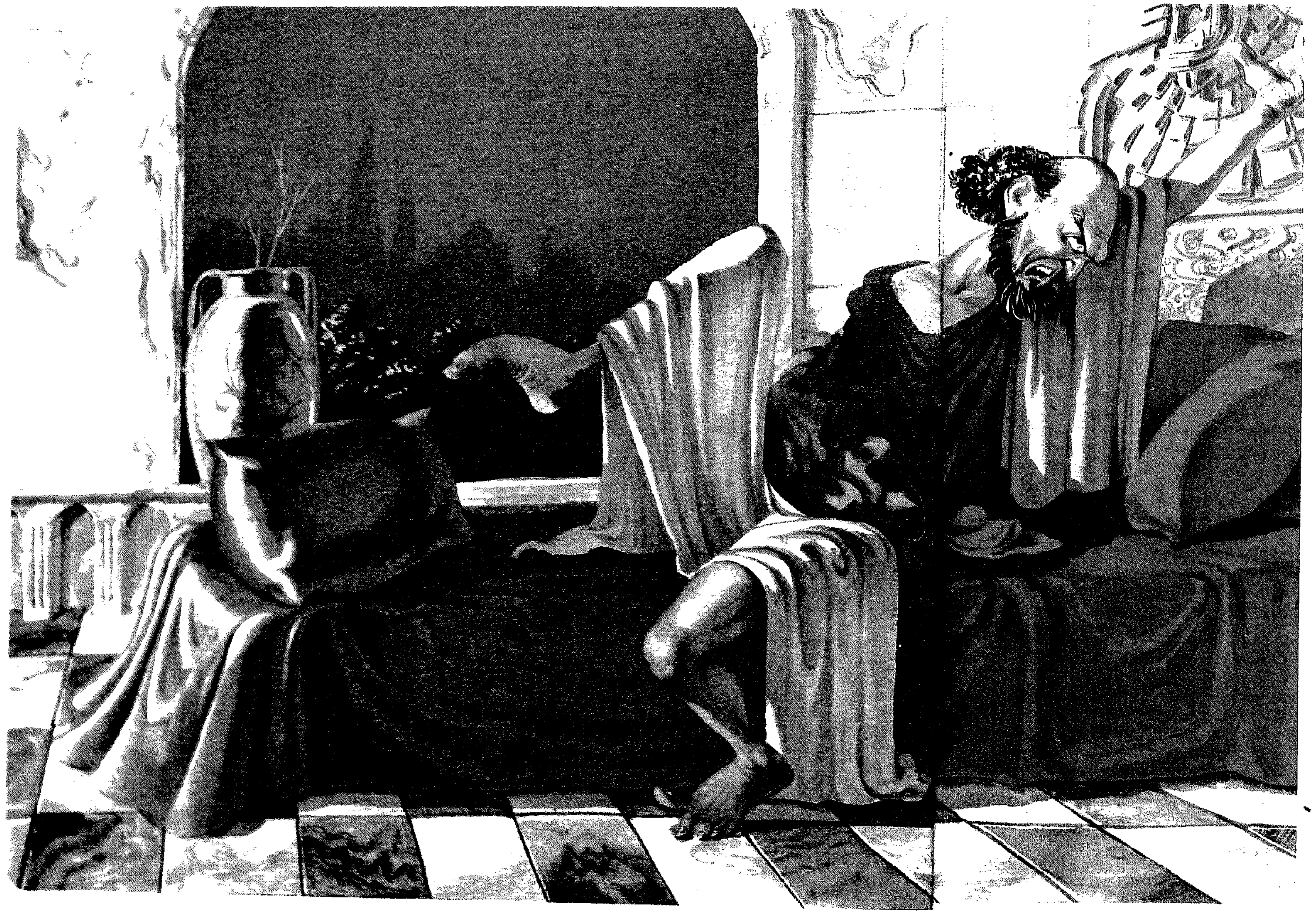

كان يَصرخُ في قصرِه فَيفزعُ الأطفالُ النائمونَ في مَدينتِه من هولِ صَرختِه . . كان يرى مَشهداً واحداً أَمامَ عينيهِ : آبتساماتِ المؤمنينَ وهم يَحترقونَ في الأُخدودِ . .
وكانتْ هذه الابتساماتُ تملأُ جَسدَهُ كلَّهُ بوجعِ الحريقِ وآلامِه ، ومضتْ حالةُ الملكِ تَسوءُ ، وكان الوجعُ يَدفعُه إلى القَفزِ من فِراشِه ومُحاولةِ تَحطيمِ رأسِه في الحائطِ . . وآضطرَّ وُزراءُ الملكِ إلى سجنِه داخلَ غُرفةٍ مُبطَّنةِ الحَوائطِ . .
وبعد سنينَ من العذابِ الأليمِ مات الملكُ . . ولم يكن موتُه راحةً له . . فقد عادَ إلى الله حيثُ يبدأُ عذابُه بنارِ الجحيمِ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ
عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝
وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝
ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ

صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ

قصص القرآن

نبأ ابني آدم والغراب

قلم: أحمد بهجت　　ريشة: مصطفى حسين

دار الشروق

الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

الطبعة الثانية
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

الطبعة الثالثة
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٢٩٣٣٣ فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ برقيا : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE

قصص القرآن

نبأ ابني آدم والغراب

قلم: أحمد بهجت
ريشة: مصطفى حسين

دار الشروق

بداية

الحياةُ الإنسانيةُ بِهبُوطِ آدمَ وحــواّءَ إلــى الأرضِ ، كـانت حوّاءُ تلدُ في البـطنِ الـواحـدِ تـوأمينِ ذكـراً وأُنثى . . فـإذا مـر عَـامٌ ولدتْ في البطنِ الثاني ولداً وبنتاً . .

ولم يكنْ يَحِـلُّ للولدِ أن يتـزوّجَ من شَقيقتِــه التي وُلِــدتْ معــه في نفسِ البـطنِ ، إنما كـان يَستطيعُ الزَّواجَ من ابنةِ البطنِ الثانيةِ ، باعدَ الله بينهُما كما باعدَ بين الأقاربِ . .

في ذلك الزمـانِ البعيدِ ، حين كـان بالوُجـودِ آثنانِ من أبنـاءِ آدمَ . . وقعتْ هذه القصةُ لهما . .

تَـزوجَ الولـدُ الذي وُلِـدَ في البـطنِ الأولِ بـالبنتِ التي وُلِـدَت في البـطنِ الثاني . . وتَزوجَ الـولدُ الـذي وُلِدَ في البـطنِ الثـاني بـالبنتِ التي وُلِـدَت في البطنِ الأولِ . .

وكـان أَحدُ الأخـوينِ غيرَ راضٍ عن زَواجِـهِ حيث كـان يـرى زوجـةَ الآخرِ أَجملَ من زوجتِه .

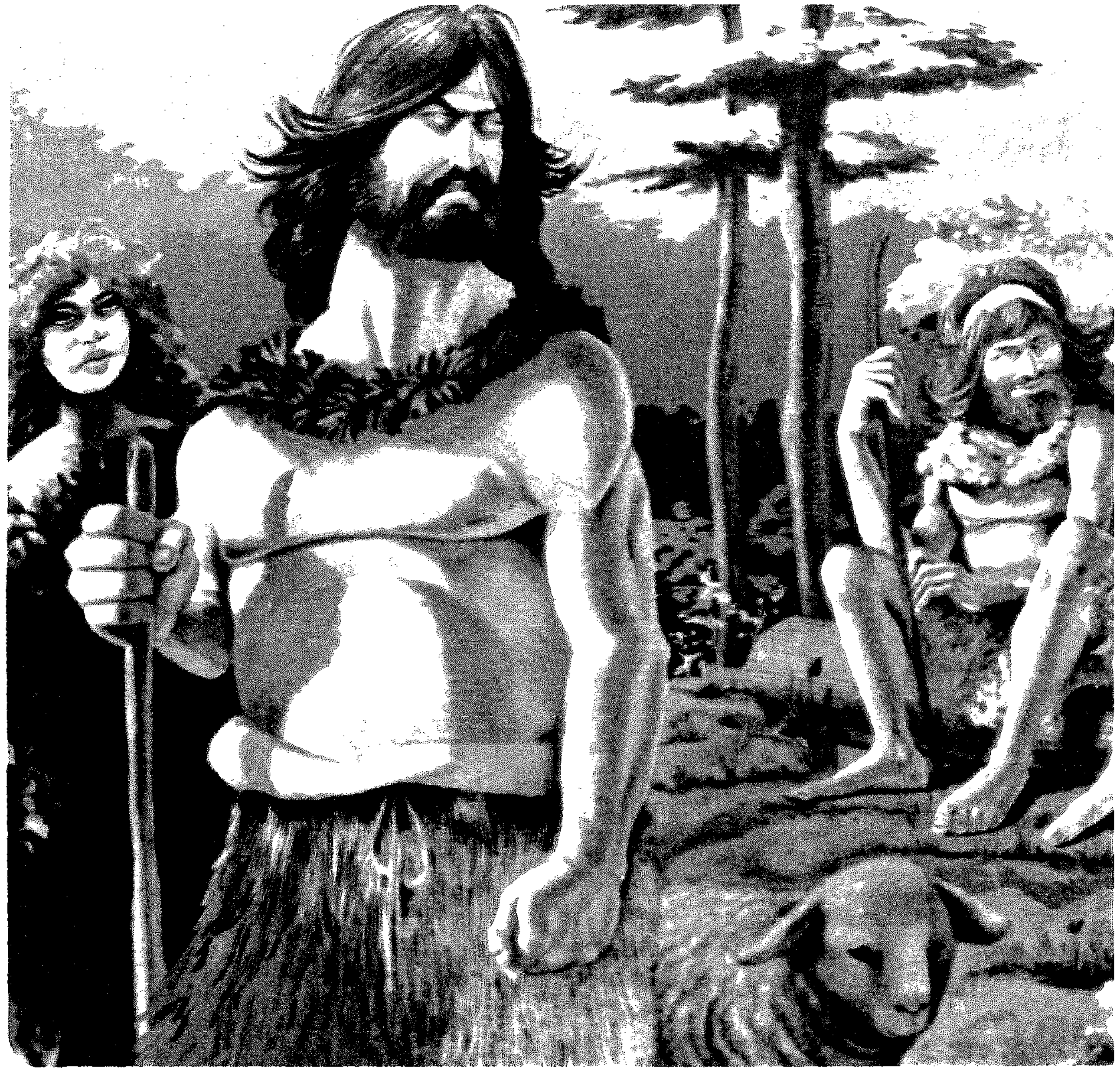

وبدأَ هذا الأخُ يَحِسُّ بالكَراهِيـةِ نحو أَخيهِ .

كـان آسم هذا الأخ قـابيـلَ . . أمـا الأخ الثاني فكانَ آسمهُ هابيلَ . .

كـان قـابيــلُ قـويَّ الجسـدِ حـادَّ المَـلامِحِ ، ولم يكنْ راضيـاً عن حظِّه في الزَّواجِ ، وبالتالي فقد كـان يَحسِدُ شَقيقَه هابيـلَ . . وبقدرِ مـا كان قـابيلُ عَنيفاً وصارِماً كان هابيلُ وَديعاً وَلطيفاً ، وكـانتِ المشاعـرُ الداخليـةُ التي تملأُ قلبَ كـلٍّ واحـدٍ منهمـا تَنعكِسُ على وجهِه وتَظهرُ على ملامِحِه . .

وذات يومٍ أَمر آدمُ ولـديهِ أن يُقـدِّما قُرباناً لله . .

سأَلاهُ : ماذا يعني بالقُربانِ ؟

قـال آدمُ : القُـربـانُ هـديـةُ شُكـرٍ إلى الله . . إذا تقبَّلَهـا الله سُبحـانَـه وتعـالىَ ، فسوفَ تَنـزِلُ من السماءِ نـارٌ تَلتهِمُهـا . . وسيكـونُ هـذا إيـذانـاً بِقَبـولِ الله لهـا . . آنصرفَ الأخـوانِ وجاءَ عيدُ الشُّكرِ . .

كـان قـابيـلُ غنياً ولكنَّـه لم يكنْ كَـريمـاً . . وراحَ يُفكِّـرُ مـاذا يُقـدِّمُ للسماءِ . . وخشِيَ على كِباشِه وعُجوله وقـرَّر أن يُقـدِّمُ بعضَ أَعـوادِ القمحِ الضَّعيفةِ التي قَدَّرَ بينه وبين نفسِه أنها لا تَصلح لِصناعةِ الخُبزِ . . كان سَيرميها عـلى أَي حـالٍ . . لـم يـكـن لِيستَخدِمَها . . هكذا فكَّر قابيلُ .

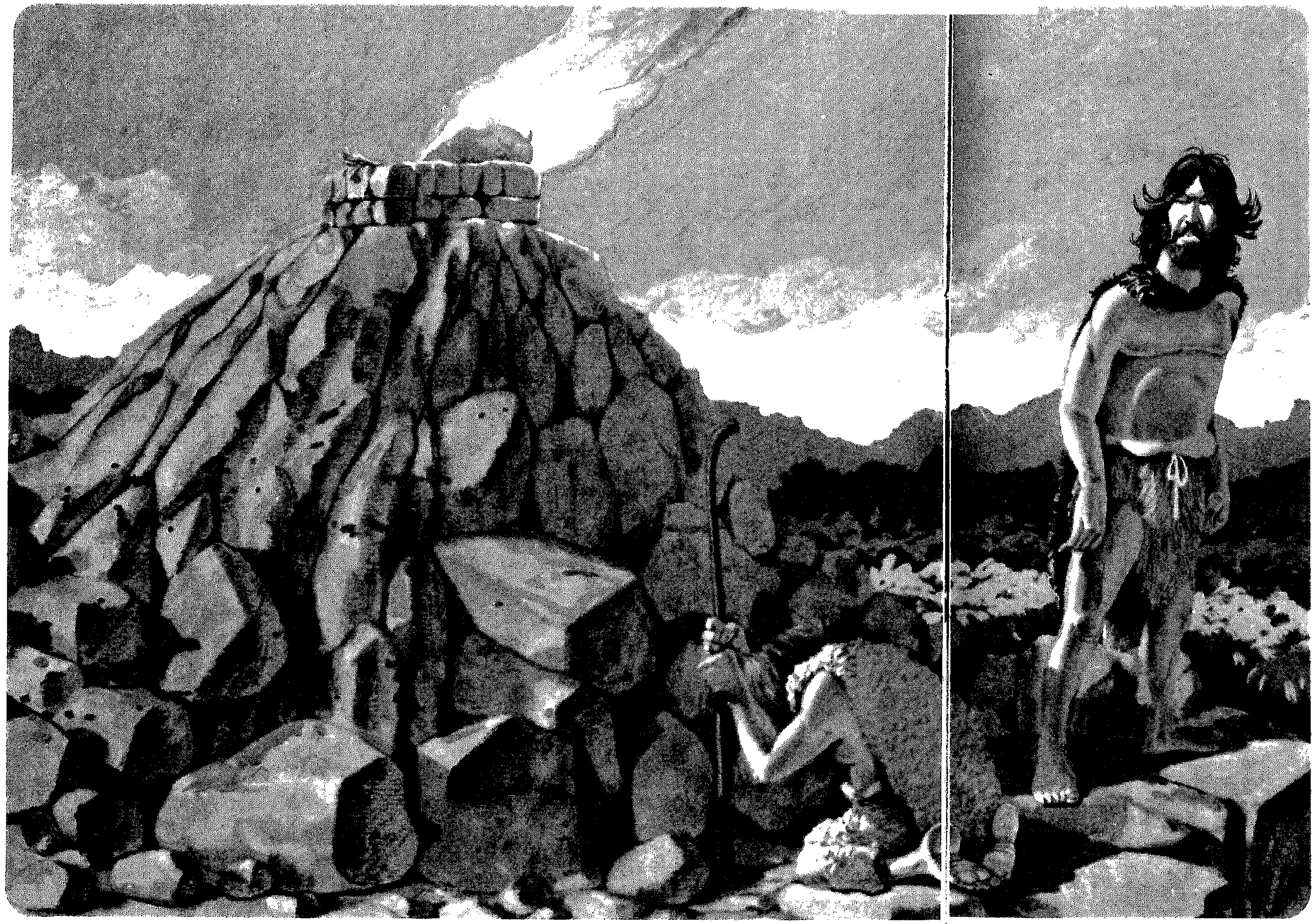

أما هابيلُ فكان رغمَ فقرِه كَريماً . . حيثُ قـرَّر أن يُقدِّم لِلقُـربـانِ أَسمنَ الكِباشِ .

وتوجَّهَ قابيلُ وهابيلُ إلى الجبلِ . . صَعِدا جُزءاً منه ووضعَ كلُّ واحدٍ منهما قُربانَه . .

وضعَ هابيلُ كِبشَهُ السَّمينَ . .

ووضـعَ قـابيـلُ حفنـةً من أَعـوادِ القمحِ . .

وآنحـدرا من الجبـلِ وَوقفـا عنـد سَفحِه يَنتظِرانِ . .

هبطتْ من السماءِ نـارٌ أَكلتْ قُربـانَ هابيلَ . . وظلَّ قُربانُ قابيلَ على حالـهِ لم يمسَسْه شيءٌ .

آنحنى هابيلُ يَسجُد لله . .

ووقفَ قابيلُ يُحدِّقُ في هابيـلَ . .

ومن أعماقِ رُوحِه تَصاعدتْ مَوجةٌ من الغضبِ والكَراهِيةِ . .

وأدركَ قابيلُ أن الله يُحبُّ أخاهُ أكثرَ مما يُحبُّه . . أدركَ أن الله قد تَقبَّلَ من أخيهِ ولم يَتقبلْ منه ، وبَدلاً من التَّوبةِ المُطهِّرةِ وإصلاحِ الذاتِ ، آحترقَ قلبُ قابيلَ بِكراهيةٍ عَميقةٍ نحو أخيهِ . . ووسوسَ إليه الشيطانُ أن يَقتُلَه . . كانتْ نَظراتُه على البُعدِ تَكشِفُ قاعَ رُوحِه التي تَموجُ بأفكارِ الشرِّ والجَريمةِ .

آنفردَ قابيلُ بشَقيقِه وسألَه : لماذا تَقبَّلتِ السماءُ قُربانَك ولم تَتقبَّلْ هَدِيّتي . . قال هابيلُ : لا أعرفُ لماذا حدثَ ذلك ، ولكنِّي أَعتقدُ أن قلبكَ ليس صافياً لله ، لو صَفا قلبُكَ لله لَتقبَّلَ الله عَمَلكَ وقُربانَك . .

قال قابيلُ : ﴿ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ .

قال هابيلُ : لا تغضبْ يا قابيلُ ، ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقِينَ ﴾ . . لو نَدمْتَ الآن وعُدتَ إلى الله فسوف يَتقبلُ منك .

قال قابيلُ : ﴿ لَأَقتُلَنَّك ﴾ .

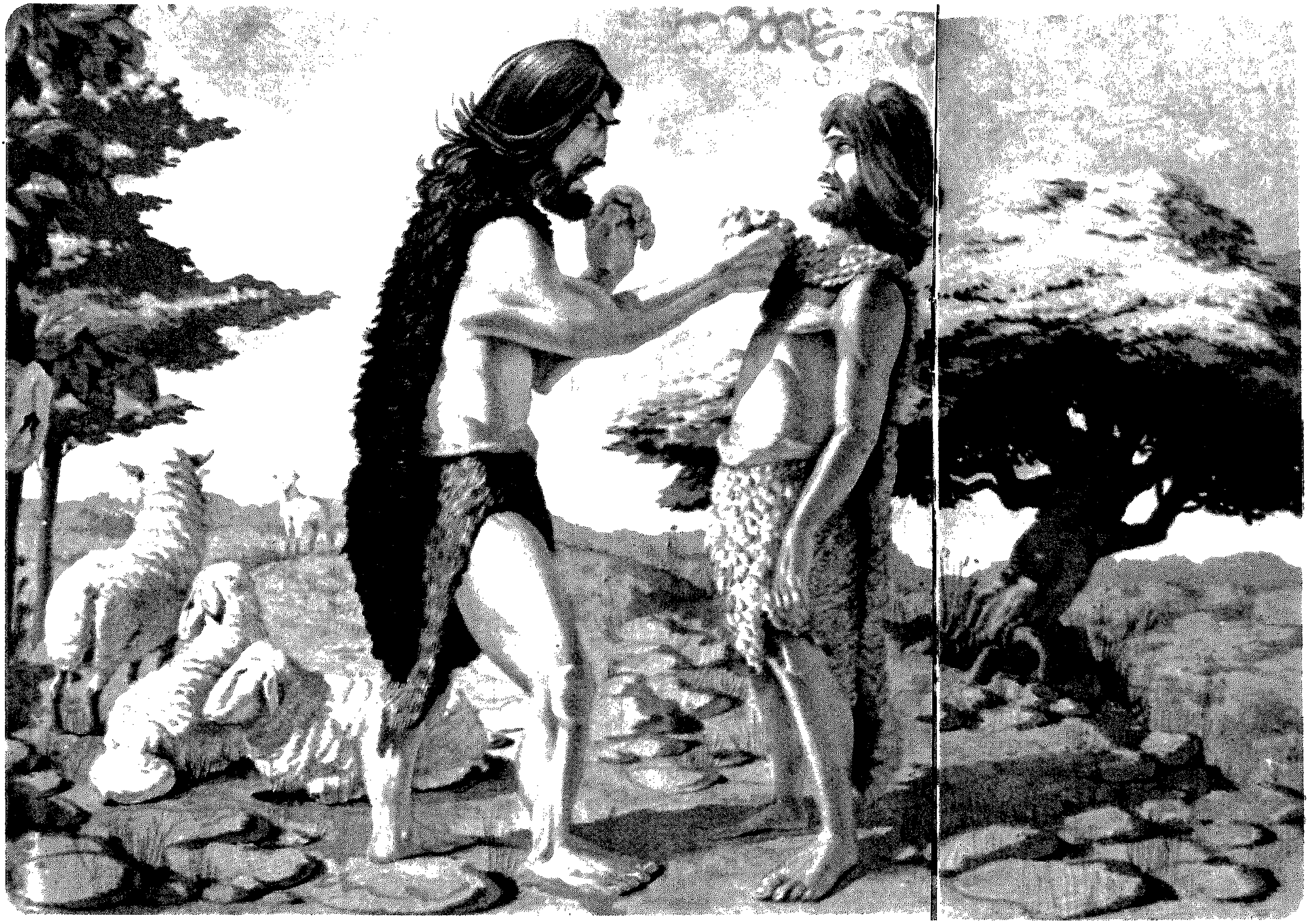

قال هابيلُ : ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ . . إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ .

قابيلُ (ثائراً) : سأَقتُلُك ذات يومٍ . . ثق أنني فاعلٌ .

هابيلُ : لن أُقاوِمَك لو حاولتَ قتلي ، ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ ٱلظَّالِمِينَ ﴾ .

آنصرفَ قابيلُ ثائِراً ومضى يُفكِّر . .

أحسَّ أنه في حاجةٍ إلى أن يسيرَ

طَويلاً حتى يُهدِّىءَ من نفسهِ الثائرةِ . .
كان الشيطانُ يُفكِّرُ معه ويَسيرُ جِوارَه أو يَنبُضُ في دمائِه ويُوسوِسُ إليه ويُزيِّنُ لـه فِكرةَ القتلِ . .

قـال قابيـلُ لنفسـهِ : لقـد آن الأوانُ لإزاحتِـه من طـريقي . . إن التَّخلُّصَ منه سوف يُكسِبُني أرضَه وزوجتَه . .

ومضى قـابيلُ يسيـرُ حتى آنتهى إلى شجرةٍ يرقُدُ جِوارَها حِمارٌ ميتٌ . . كان الحِمارُ قد مات منذ قليـلٍ . . وهبطتِ الـطيورُ الجـارِحةُ عليـه من كـلِّ آتجاهٍ ومضتْ تَلتهِمُ لَحمَه . .

بعـد ساعـاتٍ قليلةٍ كان الحمـارُ قد تحـولَ إلى هيكـلٍ عـظميٍّ . . ووقفَ قابيلُ يرقُبُ المشهدَ . .

إن الصـراعَ يَجـري في كـلِّ مكـانٍ على الأرضِ ، فلمـاذا لا يَنقضُّ على شَقيقِه كما تَنقضُّ هذه الطيورُ الجارِحـةُ على المـأدُبـةِ التي هـيّـأهـا مـوتُ الحمارِ . . .

آقتـربَ قـابيـلُ أكثـرَ من الحمـارِ فـطارتِ الطيـورُ مُبتعدةً عنـه . . تأمَّـلَ قابيلُ الحمارَ . . .

تأمَّلَ فكَّـه . . ألا يصلُح هذا الفكُّ سلاحاً يَتخلَّصُ بـه من أخيه ؟ مـد يدَهُ وآنتـزعَ فـكَّ الحمـارِ من الهيكـلِ العظميِّ وحملَه ومضَى به .

قـال لنفسِـه : من يَـدري . . قـد يُخلِّصُني هذا الفكُّ من أخي !

فكَّر قابيلُ طَويلاً في جَريمتِه قبل أن يَرتكِبَها . . كـان يعلمُ أن شقيقَه هـابيلَ يحبُّ الطبيعةَ ، وكثيراً ما ينامُ في كهفٍ صخريٍّ تُطِلُّ فَتحتُهُ على الحَدائق .

قـال لنفسِه : سـوف تَحينُ فُـرصتي

حين يدخلُ الكهفَ وينامَ . .

وجاءَ يومُ الجريمةِ . . ودخلَ هابيلُ إلى الكهفِ ونـامَ فيه كعـادتِـه . . كـان هـابيـلُ مُـرهَقـاً لم ينمِ الليلَةَ السـابقـةَ كُلَّها ، سهِرَ فِيها إلى جوارِ زوجتِه التي كانت تتألَّمُ وتَتهيّأُ لميلادِ طِفلِها الأول ، وفي الصّبـاحِ المُبكـرِ صحبَ زوجتَـه وذهبَ بهـا إلى أُمِّهِما حـواءُ ، لكي تلدَ عندها . . ثم ولدتْ ذكراً وبنتاً جميلينِ فيهما صفاءُ هابيلَ . .

آستراحَ هابيلُ أخيراً وجاءَ إلى كهفِه الأثيـرِ ، وسُرعـانَ مـا آستغـرقَ في النومِ . .

آنتـظرَ قابيـلُ حتى تأكـدَ أن شقيقَـه نـامَ ، ثم تسلّلَ إلى الكهفِ وهو يُشـدِّدُ قَبضَتَه على فكّ الحمارِ . .

كان ذهنُه يَموجُ بتيّارٍ من الشـرِّ الذي يَهُـزُّه هـزّاً رغم صـلابتِـه . . وكـان الشيطانُ قد أَقنعَه بفكرةِ القتلِ وسوَّلَهـا له حتى آنطبعتْ في قلبِهِ . .

وآقتـربَ الشـرُّ المسلَّحُ من الخيـرِ النائمِ ، آستغلَّ الشرُّ فرصةَ نومِ الخيرِ ورفـعَ يَده وهـوَى بهـا على شقيقِـه . . .

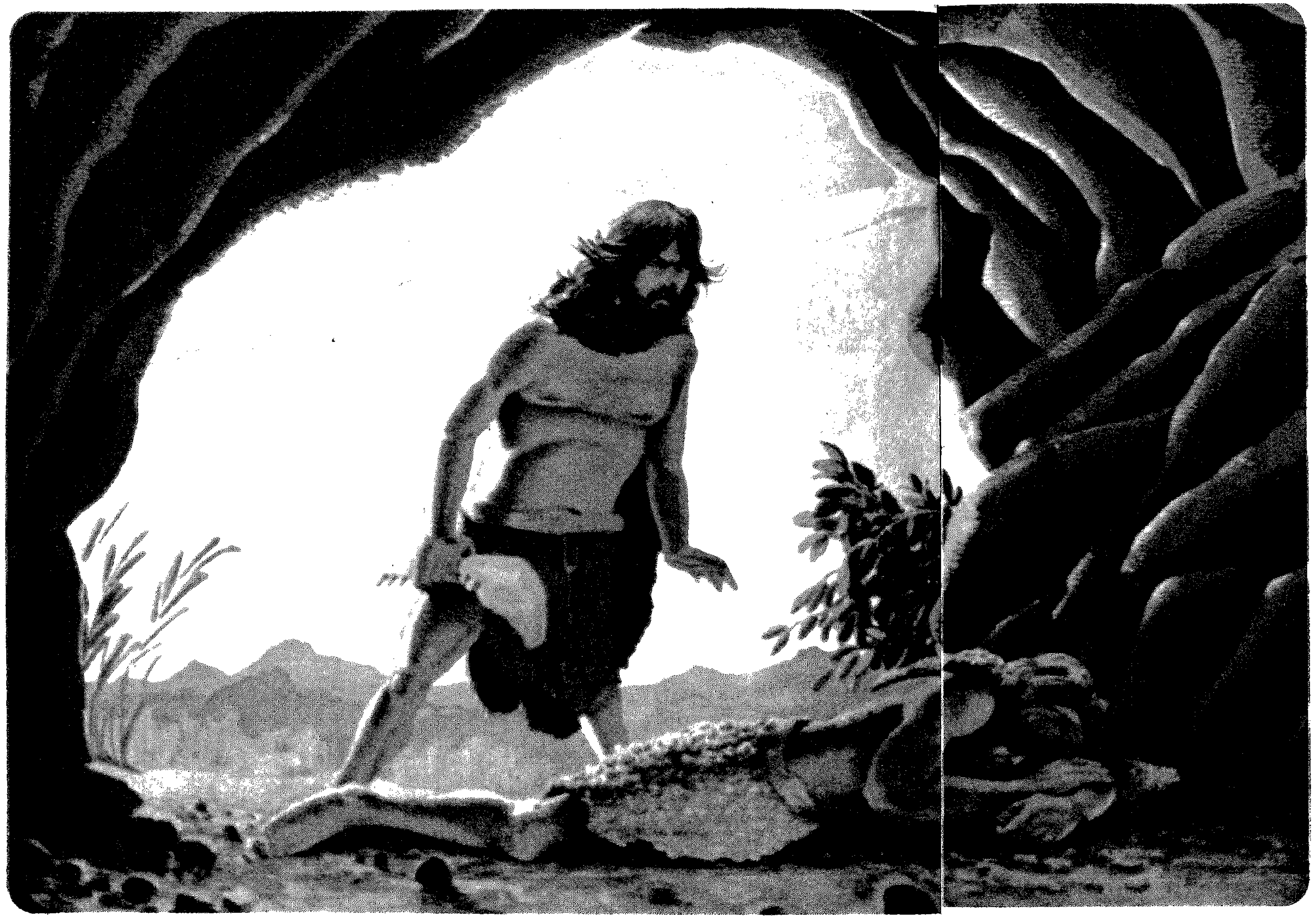

وتـدفَّقَ دمُ الشقيـقِ يَجـري علـى الأرضِ . .

مات هابيلُ . .

سـكـنـتْ حـركـتُـه وآسـتـسـلَمَ للموتِ . . أَحسّ قابيـلُ بالفـزعِ حين هَمدتْ حركةُ أَخيهِ تماماً وآستلقَى على ظهره ودمُه ينـزفُ . . توقَّفَ قـابيلُ عن ضربِ أخيهِ وهزهُ فوجـدَه لا يَتحركُ . . آمتلأ قلبُه بخـوفٍ باردٍ ولم يعـرفْ ماذا يفعـلُ . . ناداهُ فلم يُجبْـه . . وحـدَّثـه فلم يَلتفِتْ إليه . . وأَدركَ قابيلُ أنه قتلَ شقيقَه . .

كـان هابيـلُ أَولَ إنسانٍ يمـوتُ على سـطحِ الأرضِ ، وكـان مـوتُـه أولَ جـريمـةِ قتـلٍ تقـعُ في الـوُجـودِ الإنسانيِّ . . لَم يكن قد مات قبلَ ذلك من البشرِ أَحدٌ . .

وحارَ قابيلُ ماذا يفعلُ بجسدِ شَقيقِـه الذي سكنتْ حركتُه ، وحارَ قـابيلُ أين يُخبِّئُه ويُخفي جَريمتَه . .

وهكـذا حملَ قـابيـلُ جسـدَ شقيقِـهِ الميِّت هـابيلَ ومضى يَسيـرُ به . . أَرادَ أَن يُخبِّئَـهُ في مكانٍ بعيـدٍ حتى لا يصلَ إليـه أحـدٌ . . لم يجـدْ مكـانـاً يصلُح لذلكَ . .

ظـلَّ يسيـرُ حتى تعِبَ ، ثم مـزّقَ الهـواءَ صوتَ طـائرٍ يصـرُخُ ، أَفـزعتْـهُ الـصـرخـةُ ومـلأَتْ نفـسَـه بِشُـؤْمٍ مجهـولٍ . .

آلتفتَ القاتلُ فرأى في السماءِ غُراباً يـطيـرُ وهـو يُمسِـكُ بِمنقـارِه شيئـاً لم يتبيَّنْه .

وزادتْ حِيرتُـه وآشتـدَّ إحساسُـه بـالفزعِ . . وأَحسّ بِثقـلِ أَخيه كـأنـه يحملُ جبلاً ضخماً .

وقف قـابيـلُ ووضـعَ شقيقَـه على الأرضِ وهـو لا يعـرف مـاذا يفعـلُ أو كيف يتصرَّفُ . .

كـان حائـراً تَمـوجُ نفسُـه بِمشـاعِـرَ مُختـلِطَةٍ مـن الـخـوفِ والـرُّعـبِ والقلقِ . .

ثم آقتربَ الغُرابُ فرآهُ قابيـلُ يحمِلُ غُـرابـاً ميِّتـاً . . وضـعَ الغُـرابُ الحيُّ شقيقَـه الميتَ على الأرضِ وسـاوَى أَجنحتَـه وحفـر لـه حُفـرةً بِمنقـارِه وأَقـدامِه ، حتى إذا صنـعَ لأخيهِ لحـدَه

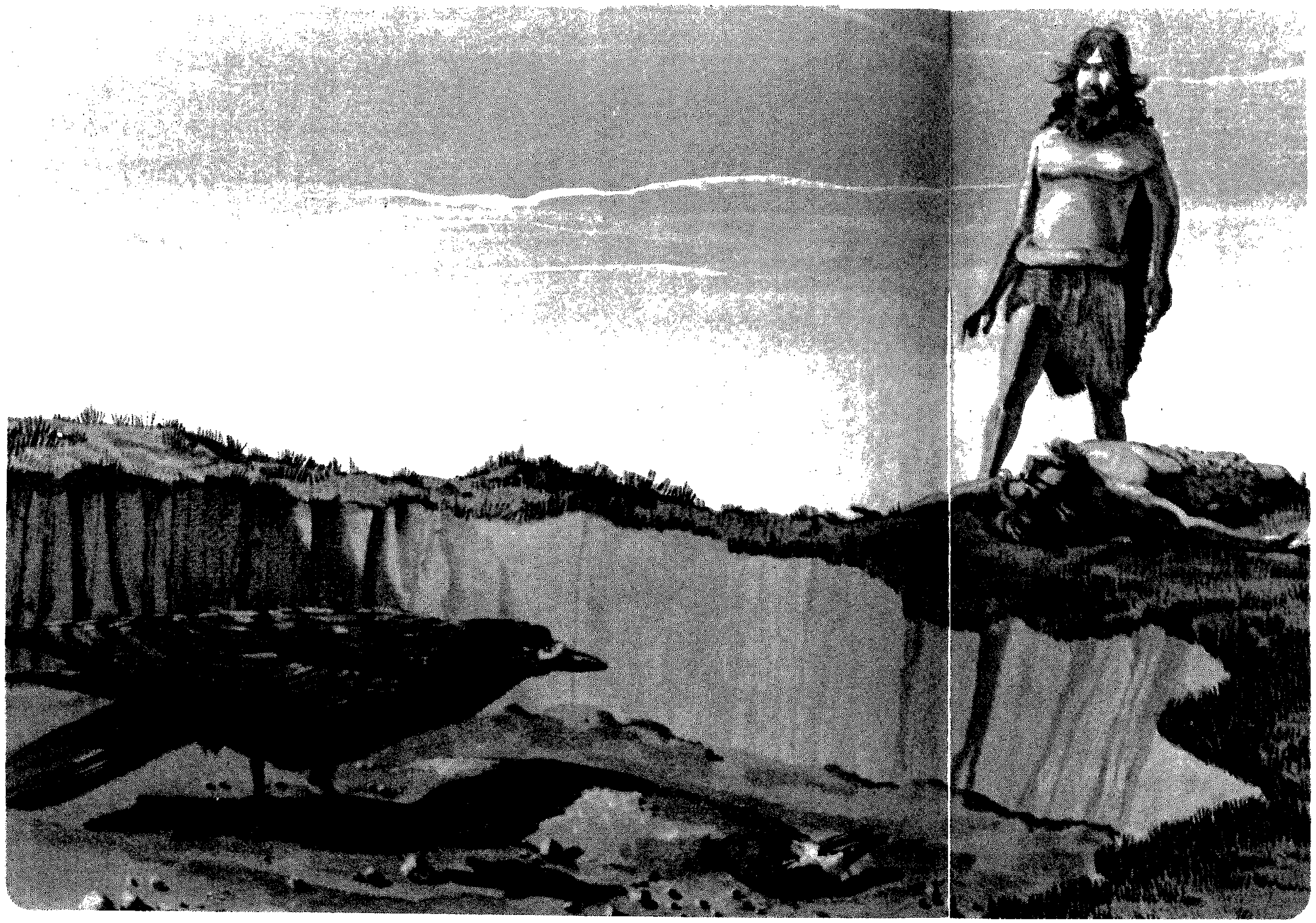

وقَبرهُ ، رفعهُ بِمِنقـارِهِ وَوضعهُ بـرفقٍ في قبرِه . ثم صرخَ صَرختينِ قَصيرتينِ كأنه يَبكيه وعادَ يهيلُ عليه الترابَ . . بعدها طارَ في الجوّ وهو يَصرخُ . .

وأدركَ قـابيـلُ أن الله بعثَ إليــه من يُعلِّمُه دَرسينِ معاً في وقتٍ واحدٍ . .

أما أَحدُ الـدَّرسينِ فقد عَـرفَه قـابيلُ على الفورِ . .

أما الدرسُ الثـاني فقد عَـرفَه قـابيلُ بعد ذلك بزمنٍ . .

لقد عجزَ قابيلُ وحـدهُ عن دفنِ أخيهِ رغم أنه قتلهُ ، ولولا الغُـرابُ ما عـرفَ كيف يُواري جسَدَهُ الهامد . .

قـال لنفسـهِ : لم أعـرفْ كيف أَدفُنُ أَخي ودفنَ الغُرابُ أَخاهُ . .

كـان هذا هـو الـدَّرسُ الأولُ الـذي تَعلَّمه قابيلُ . .

عَرفَ أنه كان أَقلَّ في ميزانِ الرحمـةِ من الغُـرابِ . . والأصـلُ أنـه سيـدُ الكائناتِ .

ونهضَ قـابيـلُ وحفـرَ حُفرةً لأخيـهِ ودَفنهُ فيها ، ثم تـذكَّر صُـراخَ الغُـرابِ الحيِّ على الغُرابِ الميِّتِ فمزَّقَهُ النَّدمُ على جَريمتِهِ فأَصبحَ من النادِمينَ .

قال وهو يَنهـارُ على الأرضِ : ﴿ يَا وَيْلَتَـا أَعَجِزْتُ أَنْ أَكُـونَ مِثْـلَ هَـذا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخي ﴾ !

انصَرفَ قَابيـلُ مُمتَقِعَ الـوجهِ مُتـرَعَ القلبِ بالنَّدمِ والهُمومِ .

وجـاءَ المساءُ ولم يعُـدْ هـابيـلُ . .

ومـرَّتِ الأمسِياتُ واللّيـالي ولم يعُدْ هابيلُ . .

سأَل آدمُ قابيلَ : أين ذهبَ هابيلُ ؟

قابيلُ : لست أعـرفُ أين ذهب . .

وقــرأ آدمُ في عينيِّ آبنــهِ خَــطيئَتَــه . . وسأَلَه :

ــ قــابيلُ . . مــاذا فعلتَ بــأَخيكَ هــابيلَ ؟ إن الله لم يَتقبـلْ قُربـانَك . . ماذا فعلتَ بأَخيكَ ؟

وتذكَّر قابيلُ قُـربانَـه الذي تَجـاوزتْهُ السماءُ . . تذكَّر كلِماتِ هابيلَ له . .

لقد أَشارَ يـومئذٍ إلى النَّـدمِ . . حثَّه عـلى النـدمِ حـين رفـضتِ الـسمـاءُ قُربانَه . .

لو أَنه عرفَ ندمَ التَّوبةِ الجميلِ على الـذُّنـوبِ لمـا أَهلكَـه نـدمُ الخَـطيئـةِ الفاجعِ . .

وكـانَ هذا هـو الدرسُ الثـاني الذي تعلّمهُ قابيلُ . .

آنتهى الأمـرُ ولم تعدْ لهـذا الدرسِ قيمةٌ . . صار قابيلُ قاتلاً . .

آنتهى الأمـرُ وفقـدَ طُمـأْنينـةَ نفسِـه وتَمـزَّق سـلامُـه الـدَّاخليُّ وأَصبـحَ من النادمين . . صارَ الندمُ هوخُبْزَهُ اليوميّ المُـر الذي قـدرَ عليـه أن يـأْكُله طِـوالَ حياتِه . .

خسِرَ قابيـلُ نفسَه بِسببِ جَـريمتِهِ ، وأَدركَ أن كـلَّ مَكاسِبِه من جـريمَتِـه لا تُسـاوي خِسارةَ نفسـه . . أَدركَ أنه من أَهــلِ النــارِ . . وأَدركَ أن شقيقَــه من أهـلِ الـنعيـمِ . . وزادَ إحـسـاسُــه بالمَرارةِ . .

وعرفَ آدمُ بما حـدثَ . . وزادَ ندمُ قابيلَ . .

في نفسِ الـوقتِ . . كـان أَبنـاءُ الشَّهيدِ هابيلَ يَكبُرونَ في السِّنّ . .

وكـان هذا إشـارةً إلى أَن الدُّنيـا مـا زالتْ تنجبُ الخيرَ وإن ملأَها الشرُّ . .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ
يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝
لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ
أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ
فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ
نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا
يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ
أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ۝

صدق الله العظيم

الأهرام
AL - AHRAM

قصص القرآن

أصحاب السبت

قلم: أحمد بهجت   ريشة: مصطفى حسين

دار الشروق

الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

الطبعة الثانية
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

الطبعة الثالثة
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٢٩٣٣٣ فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ برقيا : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE

قصص القرآن

أصحاب السبت

قلم: أحمد بهجت
ريشة: مصطفى حسين

دار الشروق

هِيَ قَريةُ « إيله » . . وهي قَريةُ يَعيشَ أَهلُهـا على صَيـدِ الأسماكِ أو الحِيتانِ .

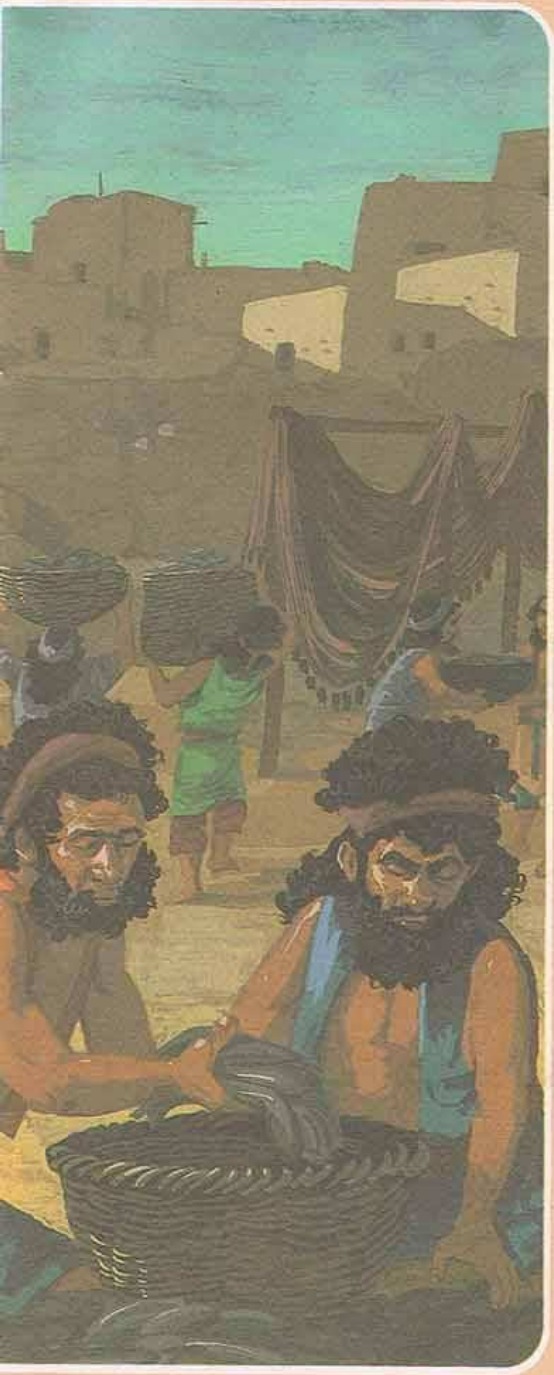

أَمّا القريةُ فَيسكُنُها قَومٌ ينحدِرونَ من سُلالةِ بَني إسرائيلَ ، وكان بَنو إسرائيلَ يُقَـدِّسـونَ السَّبتَ مثـلَ آبـائِهـم ، ويَجعلونَـه للعِبادةِ وَحـدَهـا . . ولا يُزاوِلونَ فيه أيَّ عملٍ من أعمالِ الحياةِ الدُّنيَويَّةِ . . .

كان مُحرمـاً عَليهم يَومْ السَّبتِ مثلاً أَن يَصطادوا السَّمكَ ، كما كان مُحـرماً عَليهم أَن يُـوقِـدوا نـاراً . .

وكانتْ هُناكَ نُصوصٌ حاسِمـةٌ تُهدِّدُ مَن يخرُجُ على حُرمةِ اليومِ ويَرتكِبُ فيه أيَّ فِعلٍ مِنَ المُحَرَّماتِ .

وكـانتِ القـريـةُ تعيشُ على الصَّيـدِ وتجـارتِـه ، كمـا كـان بعضُ أَهلِهـا يَعيشـونَ على بَيْعِ العَنْبَرِ ، وكـان رِزْقُ القريةِ واسعـاً . . ثم شَاءَ الله تَعـالى أَنْ يَمْتحِنَ أَهلَها . .

على سـاحلِ البحـر . . وقَـريبـاً من القَـرية . . كـانَ هُناكَ حَجَـرانِ أبيضانِ تَخـرُجُ الأسمـاكُ إليهِمـا ليلةَ السَّبتِ

ويَومِه . .

كـانتِ الأسمـاكُ تـأْنسُ في هـذا الـوقتِ وتأْمنُ . . إنها تـأْنسُ للسَّلامِ الـذي يَخْلو من شِبَاكِ الصَّيدِ ، وتـأْمنُ للناسِ إذْ يَنظُرونَ إليهـا دون أَن يَمُدُّوا إليها يداً . .

وَهكـذا تَـظهـرُ الحِيتـانُ طِوالَ ليلةِ السَّبتِ وطِوال يومِه جِوارَ الصَّخرتينِ .

فـإذا آنقضتْ لَيلَةُ السَّبتِ ويَـومُـه أَدركتِ الحِيتانُ أَن وقتَ السَّلامِ والأمنِ قد آنقضَى . . فَتعودُ في أَسرابٍ سَريعةٍ إلى البحـرِ ، وتَغـوصُ داخِلَه وتَختَفي مُبتعِدةً عن شاطىءِ القَريةِ .

وهكذا يَتعذَّرُ على القومِ صَيْدُها .

وقـد تكـرَّرتْ هـذه الـظَّاهـرةُ حتى لَفَتت آنتباه أَهلِ القَريةِ وبَـدأَ الصَّيادون يتسـاءَلونَ . هـل تُفكِّرُ الحِيتـان ؟ هل تَنطوي هذه المَخلوقـاتُ على لونٍ من أَلـوانِ الإدراكِ ؟ وإذا كـانَ الجـوابُ بـالنَّفي فكَيْفَ تَظهـرُ يـومَ السَّبتِ وهي آمنةً من الصَّيدِ وتَختفي بعدَه ؟

وهـلْ في مياهِ البحـر مِـزْوَلَـةٌ أو « سـاعـةٌ » تَـدلُّ على الـوَقتِ ؟ كيف تَعْـرِفُ الحِيتانُ أيـامَ الأسبـوع ، وكيف تَعـرِفُ أَن هذا اليـومَ هو السَّبتُ فتـظهرُ فيه ، فإذا مرّ اليومُ عادتْ تَختفي ؟

حَيَّرتْ هـذه الـظاهـرةُ كثيـراً من

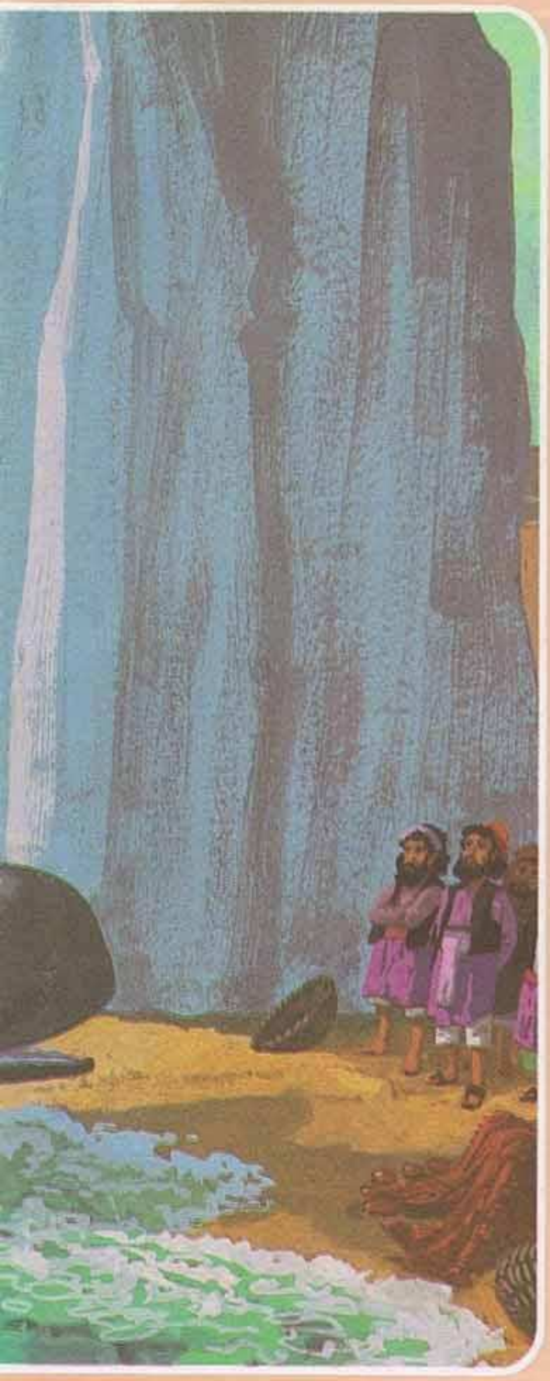

الصَّيادينَ في القريةِ . وحيَّرهم أكثر أَنَّ الحِيتانَ لم تكن تُخطىءُ أَبداً وتَظهرُ في أيـامِ الأسبوعِ الأخـرى التي أُحِـلَّ فيهـا الصَّيدُ . .

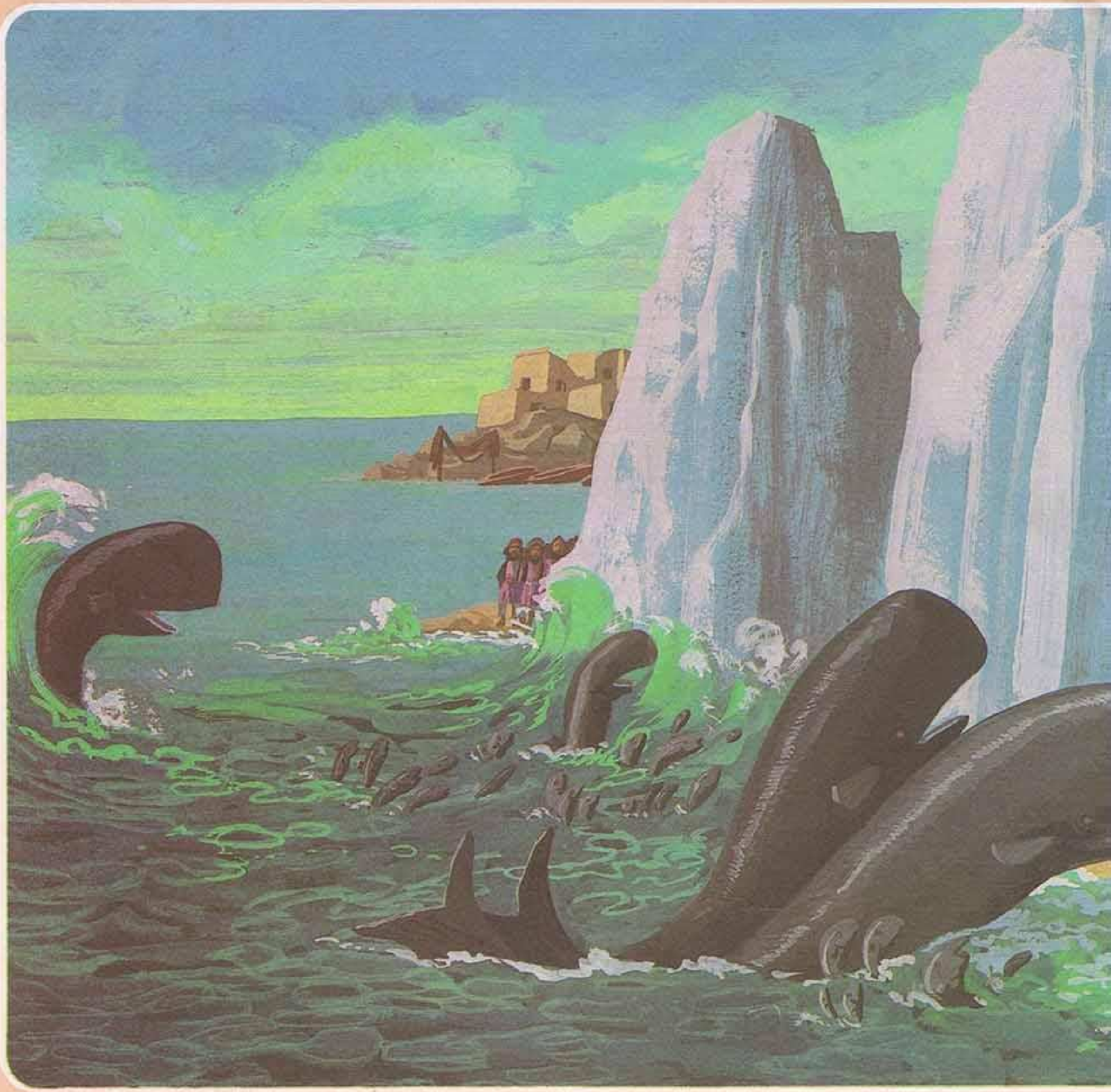

وبدأَتْ أَحوالُ القريةِ تتغيّرُ . .

إن الأيامَ تَمرُّ وهم يَخرجونَ للصّيـدِ ويَعودونَ بِشِباكِهِم فارغةً .

وهكذا آجتمَع رُؤَساءُ القَريةِ وَراحوا يُناقِشونَ المَوقِفَ الجَديدَ الذي وَجَـدوا أَنفُسَهم فيه .

قال رئيسُ السُّوقِ : قد أَقفرَ السُّـوقُ إلا من الأسمـاكِ الصَّغيرةِ التي لا تُغني

ولا تُسمِنُ من جُوعٍ . .

وقالَ رئيسُ الصَّيادِينَ : إن الشِّباكَ تَعودُ من البحرِ وهي مُمتلِئةٌ بالهواء مُبتَلَّةً بماءِ البحرِ المالحِ ولا سَمكَ هناكَ .

وها هو الشِّتاءُ يَدخُلُ على الصَّيادينَ ، فمن أين يُطعِمون أنفُسَهم وأبناءَهم ؟

وقال رئيسٌ آخر : إن الأسماكَ تَتصرَّفُ كما لو كانت تُغيظُنا . . إنها تَظهرُ في اليومِ الذي تعرفُ أنّ الصَّيدَ مُحرَّمٌ فيه ثُم تَختفي بقيّةَ أيامِ الأسبوع . . إن الأسماكَ تتحدَّانا . .

وراحتِ الشَّكوى تَنحدرُ من أَفواهِ الرِّجالِ ، وأسفرَ الاجتماعُ عن انقسامِ الرأْيِ .

قال فَريقُ المُؤمنينَ :

ــ إنّ الله يمتَحِنُنا بما يحدُثُ ، فَلنصبرْ وَلنَجتهدْ في الخُروجِ إلى البَحرِ ، وَلنستَمِر في مُحاوَلاتِ الصَّيدِ . . ومن يَدري . . عَسىٰ الله أن يرفَعَ عنا البَلاءَ ويُوسعَ في رِزْقِنا . .

وقالَ فَريقُ المُعانَدينَ :

ــ هذا آستِسْلامُ . . إن الأسماكَ تمكُرُ بنا وتتعَاملُ معنا بأكبرِ قَدرٍ من الغَدرِ والخديعةِ . . لن نتركَها تَعبثُ

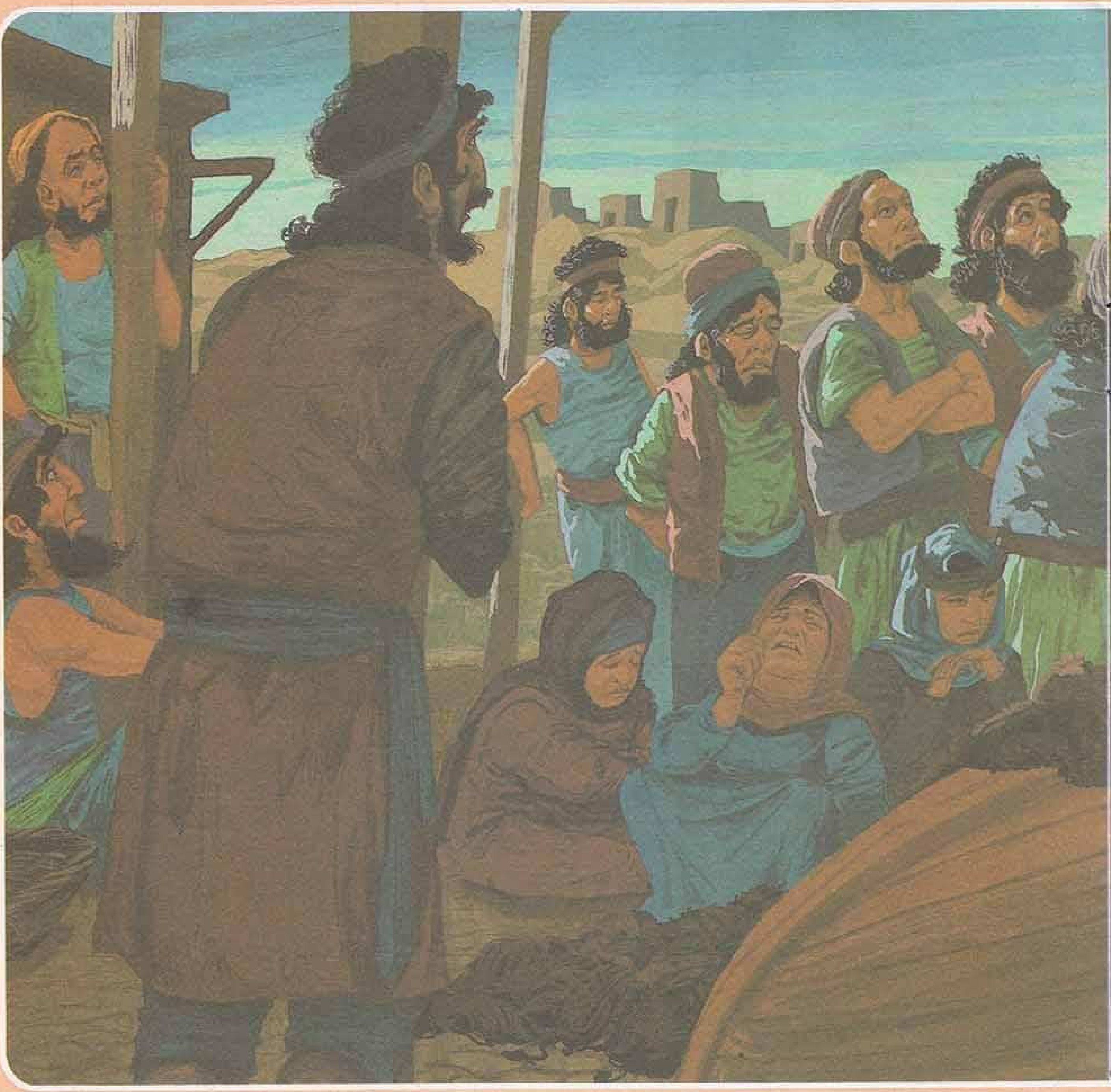

بنا . .

تَساءَلَ أحدُ المُؤمنينَ :

ـ ما الَّذي يَعنيه قَولُكم هذا ؟

قالَ المُعانِدونَ :

ـ سَوفَ نَرى . . سَوفَ نَرى . .

وانفضَّ الاجتِماعُ ودَبَّ الخِلافُ في القَريةِ .

انطوَى المُعانِدونَ على فِكْرةٍ أَشدُّ

في ظَلامِها من قَاع البَحرِ أثناءَ لَيلٍ عاصِفٍ شَديد الظُّلمَةِ . قالوا لأنفُسِهم :

ـ إنّ الأسماكَ تَمكُرُ بِنا فَلِماذا لا نَمكُرُ بها نحنُ ؟ سَنُلقي شِباكَنا في البحرِ يومَ السَّبتِ ، والحيتانُ تَملؤُهُ ، سَتَمتلىءُ شِباكُنا بالسَّمكِ . حين يأْتي يومُ الأحدِ سنُغلِقُ الشِّباكَ على السمكِ قبلَ أن يتَسرَّبَ إلى البحرِ . .

وبهذا نَكونُ قد وَفينَا بِتَعاليمِ شَريعتِنا التي تُحرِّمُ الصّيدَ يومَ السَّبتِ وفي نفسِ الوَقتِ نكونُ قد أَنقذْنا أنفُسَنا مِن الجُوع . .

قال أَحدُهم وهوَ يُفَكِّرُ :

ـ إنّ القريةَ تَمْتلىءُ بالخِلجانِ التي تَصلُ إلى بيُوتِنا ، والجَداوِل التي يَجري منها ماءُ البحرِ . . سننتظِرُ حتى تَمتلىءَ الجَداوِلُ بالحيتانِ ونُحكِمُ سَدّها عليهم يومَ السَّبتِ ، فإذا جاءَ الأحدُ ألقينا سِلالَنا وشِباكَنا واَصطدْناها . .

قال أَحدُهم وهو يَعبِسُ بوجهِهِ :

ـ إنّ هذا تَحايُلٌ على الشَّريعةِ . .

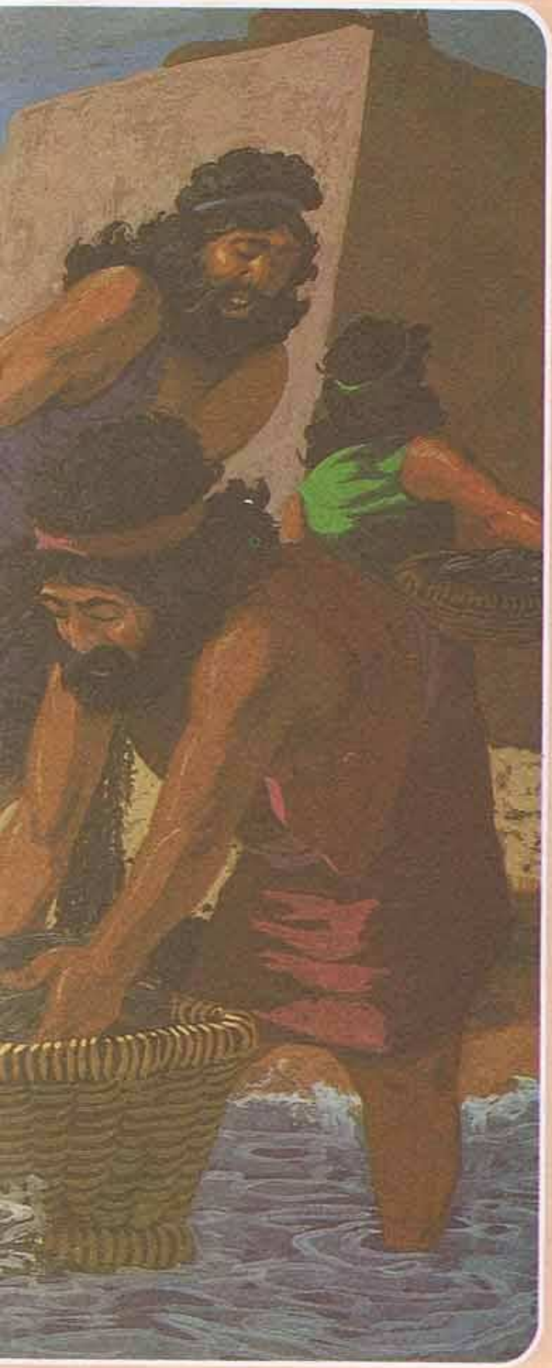

أَو هو لَعِبٌ بها . . أيُّ شيءٍ يُصيبُنا لو فَعلنا ؟

أَخمَدوا صوتَ العقلِ الوَحيدِ الذي طَفا وسطَ مُؤامراتِهم ، وقالوا له :

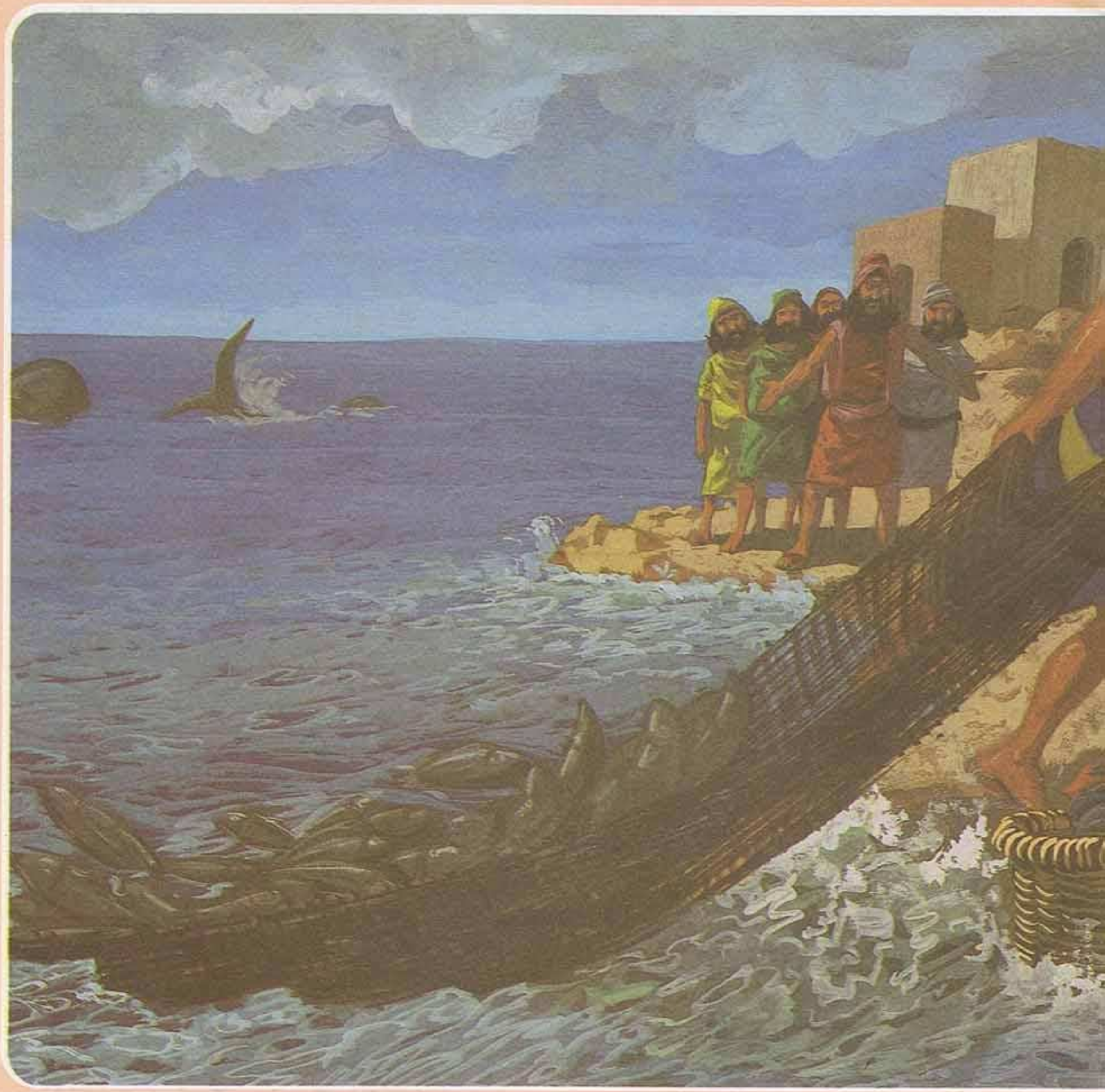

— لن يُصيبنَا شيءٌ ..

وجاءَ يومُ السَّبتِ على القَريةِ ، ونَفَّذَ المُعانِدونُ حيلَتَهُم وسَجَنوا الحِيتانَ وحاصَروها في شِبَاكِهِم وسَحَبوها يومَ الأحدِ ..

وشَهِدتِ القَريةُ عُرساً كبيراً رقصَ فيه الرَّاقِصونَ والرَّاقِصاتِ ، وغَنّوا وَشَرِبوا وأكلوا على ضوءِ المشاعِلِ

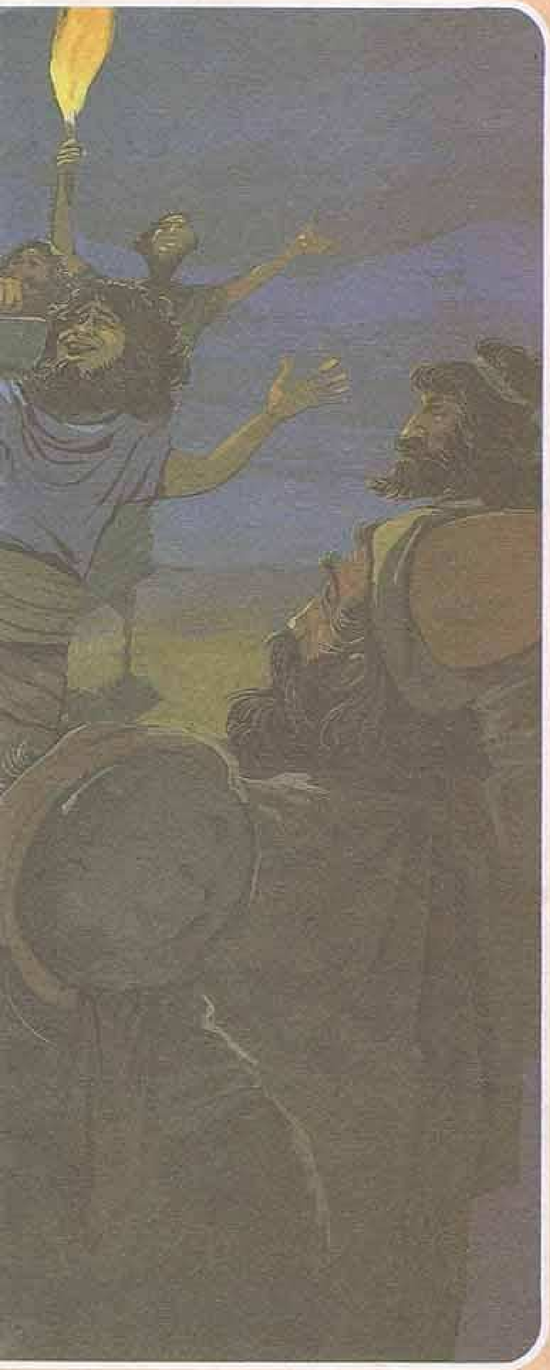

حتى الصَّباحِ .

وآكتشفَ المُؤمنونُ ما حـدثَ في اليومِ التَّالي . .

زادتْ دَهشتُهُم . .

تَساءَلَ المُؤمِنونَ : من أَينَ جاءَتْ هذهِ الأسماكُ كلُّها ؟

قال المُعانـدونَ : آصطدْناها بجُهدِنا وذَكائِنا من البحرِ . .

تَساءَلَ المُؤمنونَ : هل تمَّ صَيدُها يومَ السَّبتِ ؟

قال المُعاندونُ: بل يَومَ الأحدِ . . لم نُخرِجْها من البحرِ قبلَ يومِ الأحدِ . .

قال المُؤمِنونَ : هذا أمرٌ مُريبٌ . . لقد خَرجْنا مِثلكم إلى البحرِ يومَ الأحدِ . . وعُدنا كما خَرجنا بغيرِ صيدٍ . كان البحرُ خُلواً منَ الحِيتانِ . . من أَينَ جاءَتْ أسماكُكُم ؟

قال المُعانـدونَ : جاءَت من البحرِ . . إن السَّمكَ لا يوجدُ على البرّ .

أدركَ المُؤمنونَ أن هُناكَ شَيئاً ما قد حدثَ . . ورَبطوا في أذهانِهم بين ما قالَه هؤلاءِ من أَنَّ الأسمَاكَ تَمْكُر بِهم ، وأَنَّهم سَيمكرُون بها . .

وَقرَّرَ المُؤمنونَ أن يَعرِفوا حَقيقةَ ما

حَدثَ . . وَراقَبوا المُعاندينَ طوالَ يومِ السَّبتِ وسَهِروا ليلةَ الأحدِ يَرقُبونَهم . . وآكتَشفوا حيلةَ المُعانـدينَ وفَضحـوا أَمْرَهُم . .

قـالَ المُؤمنونَ : هـذا تَحايـلٌ على الشَّـريعةِ وعَبثٌ بِهـا . إن عَذابـاً هائِـلاً يَنتظِركُم فَعودوا إلى الله وآستغفِـروه من ذَنبِكُم . .

كانتْ قُلوبُ المُعانِـدينَ قَد قَستْ ، أَما عُقولُهم فَكانتْ أَشَدَّ قَسوةً . رَفضوا نَصيحـةَ المُؤمنينَ . . وأصـرُّوا عـلى خُـطَّتِهم ، وآستَكبَـروا على كَـلِمَـةِ الحقّ ، وقـالوا إنهم أَحـرارٌ في الصيدِ كمـا يُحبونَ وإنهم لن يَتـركوا الأسمـاكَ تَعبثُ بِهم . .

وآنـقَسـمتِ الـقَـريـةُ إلى ثـلاثِ فِرقٍ . .

فِـرقةٌ تَنصـحُ بالمَعـروفِ وتَنهىٰ عن العبثِ بالشَّريعةِ ، وفِرقةٌ مُعانِدةٌ تَتَحايلُ على الشَّريعةِ ، وفِـرقةٌ وقَفتْ تَـرقبُ ما يَجْـرِي دونَ تَدخُـلٍ منها بـالنَّصيحـةِ أو الأمرِ بالمَعروفِ .

وآشتبكَ أهلُ القَريةِ في صِراعٍ .

كـان عـددُ المُؤمنين قَليـلاً . . أمـا المُعانِدينَ فكانوا أَغلبيةً . . ورغمَ ذلكَ أسفَـر الصِّـراعُ بينهـم عـن تَكـافُـؤِ القُـوَّتينِ . . وتَوقَّفَ الصِّراعُ وجَلسـوا يَتحـاوَرونَ . . قالتِ الفِئـةُ التي وَقفتْ على الحِيـادِ في الصِّـراعِ الـدائـرِ . . قالتْ هذِه الفِئة للمؤمنين :

﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمـاً آللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً ﴾ .

رَدَّ المُؤمنونَ :

﴿ مَعْـذِرَةً إلىٰ رَبِّكُمْ ﴾ . . إنـمـا نَعِظُهُم لِيعذِرَنا الله تَعالى ويَعلمُ أننـا قد

أَدّينا واجِبَنا وأَمرناهُم بما فرضَ علينا . . أَيضاً ننصحُهُم لِيتوبوا عن معصيَتِهم ويَخْرجوا من بِحارِ الخطيئةِ التي سيغرقونَ فيها .

قالتِ الفئةُ التي وقفتْ على الحِياد : دَعوهمُ لِعذابِهِم فإنهم لا يستحقُّونَ النَّصيحةَ . .

وعادَ الحِوارُ يدورُ بَينهمُ . .

قال المُعانِدونَ لِلمُؤمنين : آخرجُوا مِنَ القَريةِ وَدَعوها لنا . .

قال المُؤمنونَ : إنَّها قَريتُنا مِثلما هِي قَرْيَتُكُمْ . . لنْ نَخْرُجَ مِنها . .

وعادَ الصِّراعُ يَحتدِمُ ، ثم آتَّفقَ الجَميعُ على بِناءِ حاجزٍ بينَ المُعانِدينَ والمُؤمِنينَ في القَريةِ . .

قَرَّروا بِناءَ حاجزٍ يُقسمُ القَريةَ إلى قِسمَين . . قِسمٌ صَغيرٌ لِلمُؤمنينَ ، وقِسمٌ ضَخمٌ لِلمُعاندينَ . . وبدأ بِناءُ الحَاجزِ . . وراحَ يَرتفِعُ يَوماً بَعدَ يَومٍ .

آزدَهرتْ أحوالُ المُعانِدينَ ، وأثْروا وتَراكَمتْ أَموالُهُم وكثُرَتْ قُصورُهم ولبِسوا الذَّهبَ والجَواهِرَ .

ولمْ يَيْأَس المُؤمنونَ مِن تَذْكيرِهم بما يَنْبغي عليهِم أنْ يفعلوهُ ، ذكَّروهُم بالطَّاعةِ . . وآحترامِ الشَّريعةِ . . وأَمَروهُم بالمَعروفِ ونَهَوهُم عَن المُنْكَرِ . .

ولكنَّ المُعانِدينَ رَكِبوا رُؤوسهُم وتَبِعوا هَواهُم ورَفضوا الاستِماعَ للنَّاصِحينَ . .

لقد عَتوا عمَّا نُهوا عنه . . كانَ

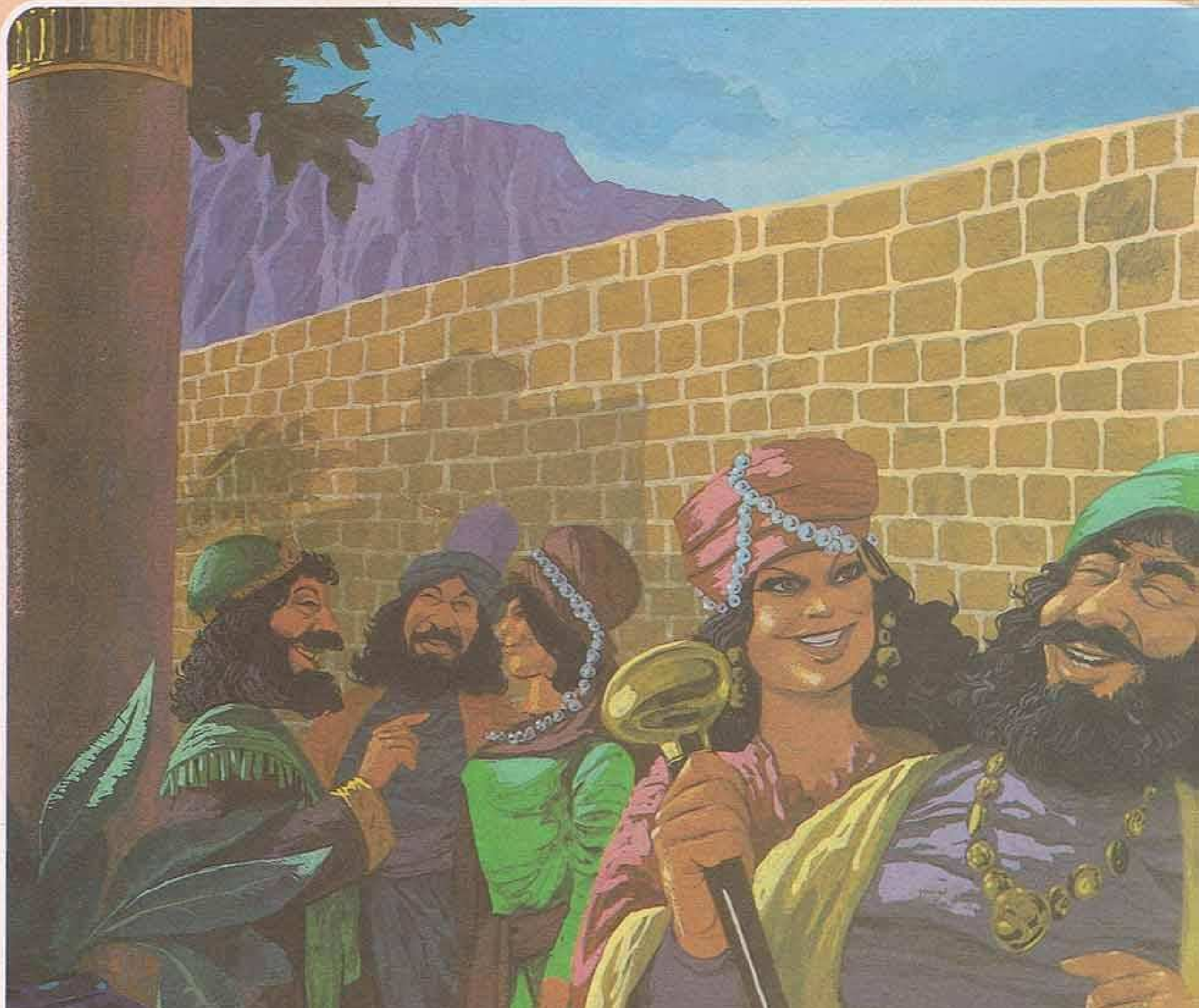

مَوقِفُهُم تمرُّداً واضِحاً وصَريحاً
على الله والحقِّ . . والشَّريعةِ . .

وكرهَ الله المُعانِدينَ وقالَ تعالى
لهم : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ .

وانقَلَبَ المُعانِدونَ إلى قِرَدةً . . لم
تَزَلْ في أيديها وأَعْناقِها ما كان بأَيْدي
الرِّجالِ والنساءِ وأعناقِهم حين كانوا
بشراً . .

مسخَ الله تَعالىٰ المُعانِدينَ إلى قِردةٍ . .

كان التَّحوُّلُ من بَشرٍ إلى قِرَدةٍ زلزالاً نَفسيّاً هائِلاً أصابَ القَومَ . . لقَد سَقطوا من كرامةِ الإنسانِ وحُريّتِه وَعَليائِهِ إلى سِجنٍ حيوانيٍّ لِقِرَدَةٍ تَعرفُ أنها بَشرٌ . .

قِردةٌ لا تتصرَّفُ كالقِرَدةِ . . ولا تَحسُّ بإحساسِ القُرودِ . . وبَدأتِ القِردةُ تَعوي حُزناً وتُحاوِلُ الكَلامَ فلا تَستَطيعُه ، وهرعوا إلى أقارِبِهمْ وَجيرانِهم منَ المُؤمِنينَ يَتمسَّحُونَ في أقدامِهم ويُحاوِلونَ إفهامَهُم ما حَدَثَ .

أثارَ مَشهدُ القِردةِ ذُعرَ المُؤمنينَ وَهرعُوا إلى قُصورِ المُعانِدينَ وشَوارِعِهم فَوَجَدوها تَمْتَلِىءُ بالقِردةِ التي تَتصايَحُ وَتَعْوي وَتُمزِّقُ شَعْرها ألماً ونَدماً على ما كانَ منها . . كانَ المَوقِفُ فاجِعاً . .

فَهِمَ المُؤمِنونَ ما حدَثَ . .

أَحَسُّوا أَنّ قُلوبَهُم تَهوي في صُدورِهم من الخَوفِ . .

كانَ المَشهدُ مُؤثِراً والقِردةُ تَلجأُ لِلمُؤمنينَ وهي تَبْكي وتَعولُ . .

وأحسَّ المُؤمِنونَ بالحُزنِ على أوجاعِ القِردَةِ التي هَوتْ من كَرامةِ

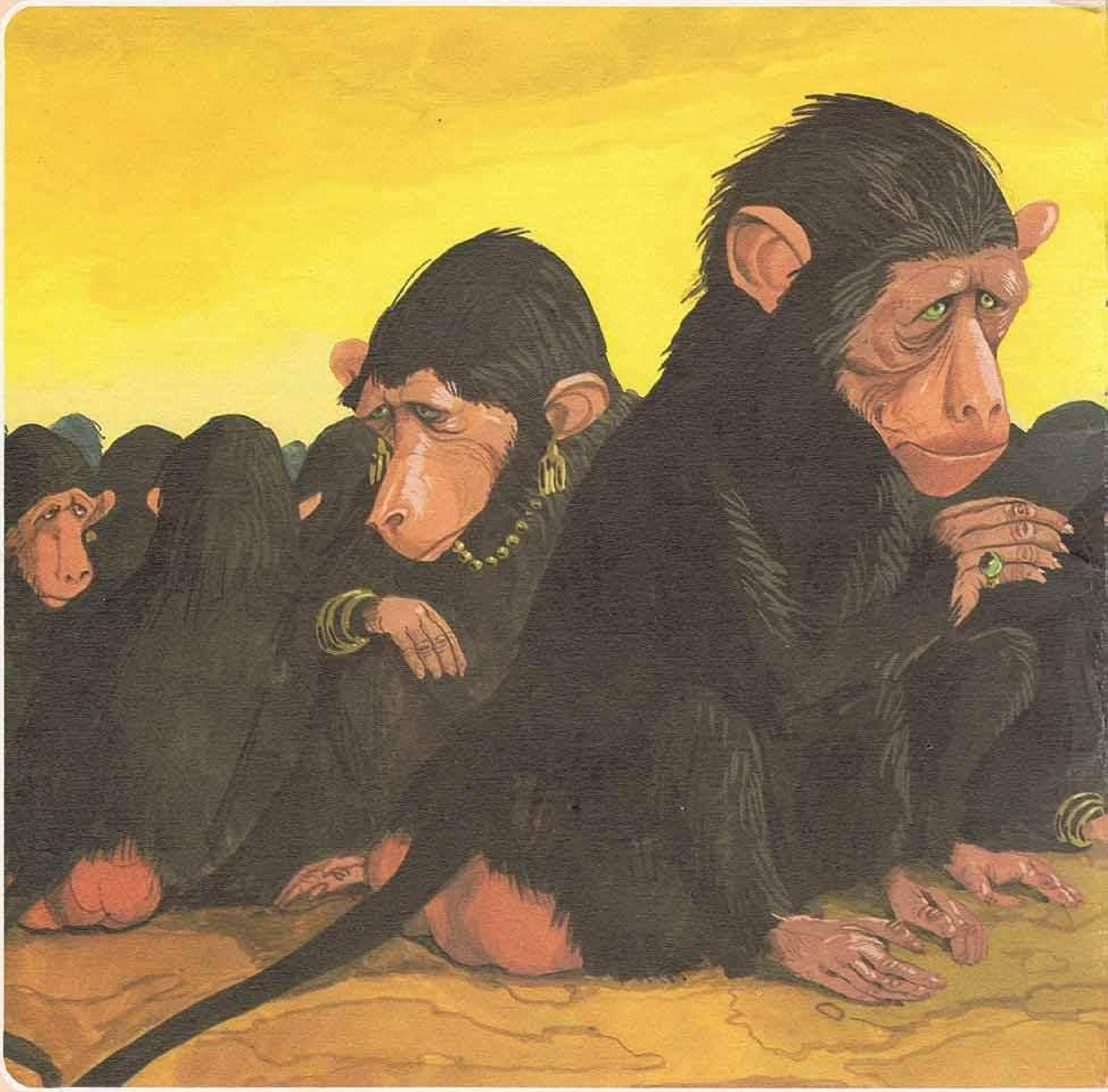

البَشَريَّةِ إلى سَفحِ الحياةِ الحَيَوانيّةِ . .
ولمْ يستطِعِ المُؤمِنونَ أن يَفعلوا شيئاً
يُخَفِّفُ من آلامِ القِردَةِ .

وَقررَ المُؤمنونَ هجرَ القَريـةِ . .
وخَرجوا ذات يَومٍ منها وتَركوها
لِلقِردَةِ . .

وآنْطَوَتْ صَفحةُ المُعتدينَ مِن
أَصحابِ السَّبتِ .

مطابع الشروق
القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني - هاتف: ٣٩٣٤٥٧٨ - فاكس: ٣٩٣٤٨١٤
بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى
ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ
لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۝ وَإِذْ قَالَتْ
أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا
شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝ فَلَمَّا نَسُوا۟
مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۝ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا
نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ

صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ